51

منظمة التعاون الإسلامي
الجامعة الإسلامية بالنيجر

كلية الشريعة والقانون
قسم أصول الفقه

بحث بعنوان:

الشيخ محمد فاضل بن الحسن الإسحاقي
"حياته وآثاره العلمية"

مقدم إلى كلية الشريعة والقانون لنيل درجة الإجازة العالية
(الماستر) في الفقه وأصوله

المكتبة الجامعية بالنيجر
رقم التسجيل: 15/179
التاريخ: 30-06-2016
الرقم التسلسلي: 2638

إعداد الطالب:
عبد الله يزيد فاضل

تحت إشراف الدكتور:
عبد الرحمن ميغا

العام الجامعي:
1436-1435هـ
2015-2014م

Scanned by CamScanner

90310717

٩٠٣١٠٧١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

Scanned by CamScanner

الاقتباس:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم

إن التشبه بالكرام فلاح

[السهروردي المقتول]

Scanned by CamScanner

الإهداء:

إلى أحب الناس إليّ وأعز النفوس عليّ والدي وشيخي:

يزيد فاضل الذي أنفق الغالي والعالي ليسعدني أيما إسعاد، ويرشدني أيما إرشاد.

وأمي فاطمة بنت أحمد أحمد التي أرضعتني صغيرا، ورعتني كبيرا.

وجدتي خديجة بنت مسه التي طالما أرق ليلها ونغص نومها غيابي طوال الفترة الدراسية، فلا يقر لها قرار ولا يطاوعها اصطبار إذا لم أكن قيد عيانها.

سائلا المولى تبارك وتعالى أن يمتعهم جميعا بالصحة والعافية، والنعم الضافية، والألطاف المتتالية.

آمين آمين لا أرضى بواحدة حتى أبلغها مليون آمينا.

ثم الذين كانوا يتحدثون بقدومي لأترابهم قبل قدومي بنحو شهر في تيه وفخار، وتجلة وإكبار إخوتي

أسعدهم الله جميعا في العاجل والآجل.

إلى كل هؤلاء أهدي نتيجة هذا الجهد وثمرة هذا الكد، علها تكون حصاد ما أينعوه، وثمار ما زرعوه.

Scanned by CamScanner

شكر وتقدير:

لا يسعني بعد هذه اللحظة التي منّ الله عليّ فيها بإنجاز بغيتي ونيل منيتي التي تعدّ نقطة تحول كبير في حياتي إلا أن أحمد الله كما هو أهله.

ثم الشكر موصول إلى الجامعة الإسلامية بالنيجر بدء برئيسها الأستاذ الدكتور: **المنصف الجزار**، ومرورا بعمداء الكليات، ورؤساء الأقسام، ثم انتهاء إلى هيئة التدريس، وأخص بالذكر هنا أستاذي ومشرفي على هذا العمل الدكتور: **عبد الرحمن ميغا** –حفظه الله –

كما أتقدم بجزيل الشكر والامتنان والتقدير والعرفان إلى أساتذتي الذين كنت قد تلقيت عنهم العلم بـــ(تلاتيت) وها أنا أعود إليهم لأشاركهم بهذا الوشل القليل من النتائج التي ربما لولاهم لما توصلت إليها: والدي يزيد بن فاضل، والشاعر عبد الرحمن،وعبد المجيد فاضل، وعبد الله البكاي، وإغلس أحمد، وإغلس حمه، وإبراهيم إدول، وسيدحا سيدي محمد، ومحمد المختار أحمد آبا، وإدريس القاسم.

كما أشكر أحبابي وأصحابي وأترابي وأخداني وإخواني وأقراني، شركاء أفراحي وأتراحي، وآلامي وآمالي، أحبتي وسلوتي، وقرة عيني وعين أنسي وأنس عيني، فلذة كبدي وثمرة فؤادي، وساعدي ومساعدي، ويميني وأميني، سميي وصاحبي عبد الله محمود زيد. وسيدي محمد المختار، والناجي سيدحا، وبي مرحبا، والخضر إبراهيم، وأحمد بي إسماعيل، ومحمد إدر، وعبد القادر موحمه، والمحمود حمكانن، وسيدي حمه، وأنار محمود، وغيرهم ممن خفي عليّ في الحال اسمه، ولم يخف في القلب وسمه.

Scanned by CamScanner

ثم أسبغ معان الشكر والتقدير والعرفان بالجميل على الأستاذ الفاضل محمد أحمد يحي وزوجه مريم بنت موسى فقد ساعداني بذات اليد وذات النفس طوال الفترة الدراسية ولست أنسى من معان الشكر والتوقير في هذا المقام الدكتور عبد المهيمن محمد الأمين والأستاذ مدت والأستاذ صالح ججه وجزى الله الجميع عن الحسن حسنا وعن العون عونا،

ثم صلة الشكر موصولة لتشمل كل من مد إلي يد العون في هذا البحث، ولو بالكلمة الطيبة، وطرف الحديث في نوادي الشاي آناء الليل وأطراف النهار، ومنهم على سبيل الذكر لا الحصر: أبو بكر مرداس، وتان محمود، وعبد الباقي المحمود، وجار العتيق السوقي التكيراتي وأحمدو محمد التكيراتي ومحمدو محمد التكيراتي، وأحمدو محمود، والطاهر عبد الله، والمكرم المهتدي، وأبو عثمان بشير عثمان التكيراتي، وغيرهم كثير.

Scanned by CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

قد كان سؤلي ومنيتي مذ عقدت يميني حجزتي أن أدلي دلوي في الدلاء، ولو كان قليلا في جمع التراث الإسلامي ليسهل الرجوع إليه للأنام، على ممر الأزمان والأيام، على أني لست من أهل ذلك الميدان، إذ هو وظيفة الكتاب الفرسان، أما أنا فلست منهم بقليل ولا كثير، ولا قبيل ولا دبير، ولا من عيره ولا النفير، لم يكن هذا كله بالشيء القليل عليّ، فقد كان كافيا وحده أن يخيفني أكثر مما يستهويني، وينفرني أكثر مما يرغبني، ويثبطني أكثر مما يغريني، إلا أن نبأ هذه الجامعة كان إيذانا لي بأن غمتي تلك توشك أن تنكشف وأن غمرتي تلك توشك أن تنجلي فانتهزت هذه الفرصة، لإنجاز البغية، ونيل المنية، وعلى هذه الجامعة ثنائي السابغ، وشكري البالغ، وكانت نيتي أولا أن يكون دلوي جمع كل فاذة وشاذة، وآبدة وشاردة من تراث أمتي، على أني لم أك لأكلف بهذا الموضوع كل هذا الكلف وآلفه كل هذا الإلف للتخرج فقط إنما كان لهذا كله ولشيئ آخر كان أعظم في نفسي خطرا وأبعد أثرا وهو أن يعرف المتأخر فضل المتقدم، ويعرف الأخفاد مآثر الأجداد، إذ إنه لا يخفى على كل من أجال الفكر، وأمعن النظر، بعين البصيرة والبصر ما يغشى الصحراء من اختفاء الأثر، لأرباب النظم والنثر، رغم كونها – الصحراء – حافلة بما يروق للأنظار، من العلوم والأشعار، التي أينعت ثمارها، وآتت أكلها عند غير هاتي الصحراء من الترتيب والتمحيص، والتقريب والتهذيب، بينما أن بعضها في الصحراء جرت عليه أيدي الدهر، وصارت نسيا منسيا، وبعضها الآخر يضيع مع الأوضاع، من وراء الظراب والتلال، والآكام والرمال.

وما تشاؤون إلا أن يشاء الله

وشاء الله أن يكون هذا العنوان المقبول لدى الإدارة الجامعية (نوازل فقهية لعلماء الإسحاقيين، دراسة تحليلية) حتى رأيت بعد ما فكرت وقدرت أن النوازل المذكورة كثيرة، ومسافة البحث قصيرة، فتحولت عنها إلى هذا الموضوع (محمد فاضل بن الحسن الإسحاقي، حياته وآثاره العلمية) وهذا بطبيعة

Scanned by CamScanner

الحال عنوان فخم ضخم، أقتطف منه ثمارا يانعة ونماذج قصيرة، وأدرسها دراسة إثارة لا دراسة معالجة مستفيضة، وأغض الطرف عن بعض النماذج الكثيرة الطويلة.

واستهللت الموضوع بتمهيد تاريخي عن المجتمع الإسحاقي المنتمي إليه الشيخ المترجم، باعتبار أن الإنسان ابن بيئته، واعتمدت في ذلك التمهيد – والعهدة على من أخذت عليهم – على ما يتوفر لديّ من الوثائق التاريخية، والنقولات الإسحاقية، والمصادر المحلية، والمقابلات الشخصية، على أني لم أكن لأضيف في هذا المقام جديدا على ما في المصادر المذكورة، بقدر ما أتشبث بجذورها، وأذب عن حوضها ممن زاغ عنها بالقلم والبنان، والبيان واللسان.

أهمية الموضوع:

أما أهمية هذا الموضوع فهي تتألف في أهمية التاريخ والفتوى، أما الأول فأهميته أوضح من الإضاب فيه، به يعرف المتأخر فضل المتقدم، ويعرف الأحفاد مآثر الأجداد، ولا يركبون على عمياء، يتخبطون خبط عشواء، كأنهم في ليلة ليلاء، وأما الثاني فأهميته تكمن في أنه شريعة عامة للسفتي والمستفتي، مما هو من جنس ما أفتوا فيه إلى يوم يبعثون.

الدراسات السابقة:

لم يعالج هذا الموضوع معالجة مركزة قبلي ولم يكتب على هذا النحو في الأيام الخوالي على حد علمي وغاية ما في الأمر أن هنالك أسفارا تضاهي هذا البحث في كونه بحثا صحراويا إلا أن كل هؤلاء الأسفار إما مخطوط لا يعرف وإما بحث متشعب يتصل بالموضوع اتصالا أحيانا ويخرج عن موضوعه أحيانا كثيرا ولعل أكبر الأسفار اتصالا بهذا البحث هو سفر إدريس القاسم المعنون القول الحسن في ترجمة فاضل بن الحسن الذي اعتمدت عليه أيما اعتماد فجزاه الله عن الإحسان إحسانا إلا أن الذي ليس إلى إنكاره من سبيل أنه غير تام إذ لم يذكر تاريخ وفاة الشيخ المترجم ولم يدرس آثاره ثم هنالك أسفار أخرى لم يكن يربطه بهذا البحث رابط وثيق في شيء غير قليل مثل الجوهر الثمين وزبدة الوفاق.

Scanned by CamScanner

أسباب اختيار الموضوع:

وكان سبب اصطفائي وانتقائي واجتبائي لهذا الموضوع دون غيره هو شغفي الشديد لمشاركتي ومساهمتي في جمع تراث ملتي أولا، ولفت أنظار الباحثين إلى الذخائر العلمية في الصحراء التي تأخذ الأوضاع أرواحها ثمنا لراحتها الأبدية، الراحة التي لا يعرف شأنها إلا من فقدها، وذلك جزاء التهميش والإهمال ثانيا، والاستفادة والافادة من تلك الذخائر ثالثا، وتشحيذ همم الأخلاف بمعرفة مقدار همم الأسلاف، مما يشجعهم على الاقتداء والاحتذاء والاقتفاء رابعا، ثم كشف النقاب وهتك الحجاب على المجتمع الإسحاقي الذي أدبرت عنه الأقلام الإسحاقية، وناءت عنه الأقلام العربية، فأصبح عرصة للأقلام المعادية، فتارة تجعله من اليهود، وأخرى من كيت وكيت، استشعارا للمسؤولية الملقاة على كاهلي وعاتقي باعتباري واحدا ممن ينتمون إلى ذلك المجتمع خامسا، وكل هذه الأسباب جعلتني لهذا الموضوع محبا وبه معجبا.

خطة البحث:

رتبت هذا الموضوع على ثلاثة فصول وخاتمة:

- الفصل الأول: في تعريف الجيل الإسحاقي المنتمي إليه الشيخ المترجم: وفيه مباحث ثلاثة:
  - ✓ المبحث الأول: أصل الإسحاقيين وتسميتهم.
  - ✓ المبحث الثاني: موطنهم الأصلي وموقعهم الحالي.
  - ✓ المبحث الثالث: الحال الجامعة للإسحاقيين.
- الفصل الثاني: الشيخ المترجم في سطور: وفيه مباحث ثلاثة:
  - ✓ المبحث الأول: اسمه ولقبه ونسبه ووفاته وأولاده.
  - ✓ المبحث الثاني: شيوخه وتلاميذه وأدب تعليمه.
  - ✓ المبحث الثالث: أعماله السياسية وصفاته الخلقية والخلقية.
- الفصل الثالث: إضاءة سريعة على الآثار العلمية للشيخ المترجم: وفيه مبحثان:

Scanned by CamScanner

- ✓ المبحث الأول: نماذج في الفقه.
- ✓ المبحث الثاني: نماذج مختلفة.

منهج البحث:

انتهجت في هذا الموضوع المنهج التاريخي والوصفي الذي يسرد الأحداث سردا، ويصفها وصفا أو يقربها تقريبا ويجسدها تجسيدا.

صعوبات البحث:

أما عن الصعوبات والعقبات التي واجهتني وجابهتني في هذا الموضوع فحدث ولا حرج، فهي لا تعد ولا تحصى، وتعدادها قد يستعصي، فمنها على سبيل الذكر لا الحصر: صفر راحتي من المصادر الأصلية أولا، ثم تباعد وتباين البيوتات التي توجد عندها المخطوطات ثانيا، وقصر باعي وقلة ذات يدي من المذاهب الفقهية الأربعة عامة، والمختصرات الفقهية الأصولية المالكية شروحا ومتونا وحواشيا خاصة، وذلك الوقت الذي أنفقه في المكتبة بياض النهار وشطرا من سواد الليل فيرهقني من أمري عسرا دون أن أظفر منه بطائل، وحسبك بهذا كله عبئا ثقيلا وعناء طويلا ولكن الحزم والعزم والمحاولة والمطاولة تجعل الصعاب والعقاب تذعن بعد شماس و إباء.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل وسائر أعمالي صالحا ولوجهه خالصا.

عبد الله يزيد

Scanned by CamScanner

الفصل الأول: في تعريف الجيل الإسحاقي المنتمي إليه الشيخ المترجم:

وفيه مباحث ثلاثة:

المبحث الأول: أصل الإسحاقيين (إضكصهك):

إنه بحكم انتماء الشيخ المترجم إلى مجتمعه ينبغي للباحث إماطة اللثام على مجتمعه بقدر ما يمهد الطريق أمامه إلى تعريف الشيخ نفسه ليكون القارئ على بصيرة من أمره وهدى ونور.

أ) أصل الإسحاقيين:

تواترت نقولات علماء الإسحاقيين على أن الإسحاقيين من صريح ولد الشريفين: محمد المختار الشهير بـ(أيت) وإبراهيم الدغوغي، وذلك حسبما احتفظت به خبايا الذاكرة الإسحاقية وحفظته حافظتهم، وتواترت فيه نقولات أشياخهم، وتوارثوه خلفا عن سلف وكابرا عن كابر منذ عصور وأزمنة ودهور، مما يعطيه حكم التواتر، إذ لا يتصور تواطؤ كل أولئك الأشياخ – الذين يتورعون عن اقتراف الصغائر فضلا عن الكبائر فضلا عن الفرية في الانتساب، ولا أثبت لهم العصمة – إلا على الصحيح الصريح، (والمتواتر يفيد العلم ضروريا، وقيل: لا يفيد العلم إلا نظريا وليس بشيء[1]).

يقول أبو زهرة: "فإن الناس يعرفون آباءهم بالأخبار المتواترة كما يعرفون أبناءهم بالأعيان، وقد أثبت التقرير المنطقي صحة ما تواضع الناس على صدقه[2]".

ولم ينازعهم في ذلك من له نظر وقول معتبر، بل اعترف لهم بذلك الحب الودود والحب اللدود ذو الغيظ المديد، وهذا بعض المشهور من المكتوب والمأثور، يقول صاحب ذبدة الوفاق في تعريف إدواسحاق: (ينسبون أنفسهم إلى الشريف محمد المختار المعروف بـ(أينتّ) بن إبراهيم بن محمد سعيد بن

---

[1] – نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، ابن حجر العسقلاني، مطبعة سفير بالرياض، ط١، ص٤٠، بتصرف من الإيجاز.

[2] – أصول الفقه، للإمام محمد أبي زهرة، طبعة دار الفكر العربي، ص١٠٨، بتصرف.

Scanned by CamScanner

عبد الرحمن بن عبد الجبار بن تميم، ومنه التقينا مع أبي الحسن الشاذلي، وعلى هذا النسب الرفيع مضى أسلافهم ورواه لخلفهم صاغرا عن كابر إلى يومنا هذا، وقلما لقيت شخصا منهم إلا رفع نسبه إلى أحد الرجلين المعروفين شريف تندر، وآنف بن ضاف بني الفقيه بن مرزوق، إلا ما كان من حي الشرفاء، ويطلق عليهم الشرفاء من الإسحاقيين)[1].

وأما الفقيه بن مرزوق فهو الجامع لبطون جميع بني أيتَّ من الإسحاقيين، وأما الشريف محمد المختار المعروف بـ(أيتَّ) فهو ابن إبراهيم بن داود بن محمود بن سعيد بن عبد الرحمن بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف، وقيل: ثقيف بن ورد بن علي المكنى بأبي طالب، وقيل: بطال بدل علي بن أحمد بن عيسى المكنى بأبي العيش بن يحيى بن إدريس الثالث بن عمر المخاضي، نسبة لسكناه بمخاض ظاهر طنجة، بن إدريس المثنى بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه[2]، أما إدريس الأكبر فقد مات بمدينة بليلى، وكانت وكانت وفاته سنة ٣١٣هـ من شهر ربيع الأول، وفاس هي دار مملكة بني إدريس[3]، ونظير هذا الضرب: (ليعلم الواقف على هذه السلسة أنها نسب الإسحاقيين، فإنهم تفرعوا عند الفقيه بن مرزوق بن محمد المختار المعروف بـ(أيتَّ) حفيد مولى عيسى بن إدريس الحسني، وسمي محمد المختار بـ(أيتَّ) لاستقرار جده عيسى بن إدريس إلى جبال أيتَّ عتاب، وكان سبب استقراره إلى جبال أيتَّ بعض الحروب التي قامت بمدينة دَادِ من تالادِ عام ٤٣٣هـ، ثم تناسلت ذرية محمد المختار من تلمسان وتالادي، وأتى حفيده الفقيه بن مرزوق إلى أرض كوكو وتنبكتو، وتزوج بامرأة فتناسل الإسحاقيون هنالك[4]).

ولأحدهم في هذا المعنى (... فإن الإسحاقيين في الأصل من شرفاء العرب، سكنوا قديما بالعراق، وارتحلوا منها منذ دهور متطاولة إلى أن نزلوا مغرب طنجة، فسكنوا بها منطقة يقال لها: تافيلالت، إلى أن

---

[1] - زبدة الوفاق في تعريف دواسحاق، محمد سعيد بن محمد قُطَّهُ الإسحاقي الأيتي، مخطوط بمكتبة الدكتور: عبد المهيمن محمد الأمين/ محاضر بالجامعة الإسلامية بالنيجر، كلية السنات، ص٧

[2] - وثيقة سلاسل الإسحاقيين، مخطوط بخزانة الشيخ إدريس القاسم بتلاتيت

[3] - المسالك والممالك، للبكري، ط دار الغربية، ص٦٩٩

[4] - وثيقة مخطوطة بمكتبة أحمد آدم بن محمد الصالح بتين تروري.

Scanned by CamScanner

كان من قدر الله أن جاء منهم رجلان إلى كوكو بمالي فتزوجا امرأتين هنالك، وكلما كان من أرض كوكو من الإسحاقيين من نسل ذينك الرجلين من تينك المرأتين ... ومن أراد الوقوف على حقيقة ذلك فليصل مراكش[1]).

وفي كتاب الجوهر الثمين في تاريخ صحراء الملثمين ومن جاورهم من السودانيين لمؤرخ الصحراء الشيخ العتيق بن سعد الدين السوقي[2] ما نصه: (فيهم – أي الإسحاقيين – طوائف ينتسبون إلى أجداد شرفاء، وجلهم من ينتسب إلى محمد المختار المعروف بـ(أيتَّ) بن إبراهيم بن عم الشيخ أبي الحسن الشاذلي، ومن الحائزين لتلك النسبة إلى أيتَّ حيازة قديمة مصحوبة بخطوط أهل العلم من قبيلة إدواسحاق هي قبيلة أهل أغل تاغم نسبة إلى وسمهم الخاص، وجدهم الجامع لبطونهم اسمه ضاف بن آنف بن الفقيه بن مرزوق بن أيتَّ، وأخذت عن الشيخ أحمد (بضم الدال) بن الشيخ آدم – وكان هو وأبوه من أعلم أهل هذه النسب – أن المركب أي ابن مرزوق لقب للفقيه بن أيتَّ لا أن المرزوق كان والده[3]).

وقد تقدم أن الفقيه بن مرزوق هو الجامع لبطون إهَنَقَّتَنْ[4] من غير الشرفاء الذين تقدم ذكرهم، يقول العتيق: (وقد رأيت ووقفت على كثير من سلاسل إهنقتن تنتهي إلى أيتَّ فلا سبيل إلى إنكار ما أثبته أولئك العلماء الذين يتوارثون العلم كابرا عن كابر، ويحفظون الخطوط القديمة التي تحفظ بها الأنساب لأنهم أدرى بأهل بيتهم من غيرهم[5]).

---

[1] – وثيقة بالية بخط الشيخ الأمير سعد الدين بن البكاي بخزانة الشيخ نفسه بتلاتيت.

[2] – نسبة إلى السوقيين: قبيلة مشتهرة بالعلم والتعليم في الصحراء.

[3] – الجوهر الثمين، ص٦٣، نسخة إلكترونية.

[4] – إهنقتن: قبيلة من قبائل الإسحاقيين.

[5] – الجوهر الثمين، مصدر سابق، ص٦٣.

Scanned by CamScanner

هذا ما فيه الغنية والكفاية من بني أيتّ، أما الدغوغيون من الإسحاقيين فهم (كل بَرْيُ) ينتسبون إلى إبراهيم الدغوغي، وبري: اسم بئر كان وطنا لأسلافهم، فانتشروا في الإسحاقيين تبعا للأمهات والأخوال، وتخيروا الأوطان[1] على ما يقول العتيق[2].

ويقول في موضع آخر: (وليس في إدواسحاق من ينتسب إلى إبراهيم الدغوغي سواهم، فدل ذلك على أنهم لم يفتروا في انتسابهم إليه[3])

وأما الشرفاء من غير أولاد أيتّ وإبراهيم الدغوغي السابق ذكرهما آنفا (فهم بنو عم بني المختار الأمراء، وهم ما زالوا يدعون الشرافة، وسلم لهم جميع قبائل أهل بلدهم بذلك، حتى صار اسم الشرفاء لقبا عليهم[4]).

وأما ماعدا الآيتين والشرفاء والدغوغيين من الإسحاقيين فهم من البربر الخلص على تقسيم صاحب الجوهر الثمين إلى غير ما هنالك من المنقول والمقول، وإذا تقرر هذا وثبت أبصر من تبصر أن حل الإسحاقيين من بني هاشم في العصر الخالي، وإن كانوا برابرة في الزمن الحالي باللسان والخلال، وليس غريبا فقد ذكر الإدريسي أن قبائل العرب نزلت على قبائل البربر فانتقلوا إلى ألسنتهم بطول المجاورة[5].

ب) تسمية الإسحاقيين:

قبل الشروع في صميم هذا الموضوع لم يكن للباحث بد من تمهيد يكون له منطلقا على هذا الحديث الذي هو قيد مسيرته ومحط رحله ومناخ مطيه، حتى يتسنى للقارئ فهم الموضوع، ولا يقع على هوة الغموض والإبهام بدون معرفة مسبقة.

---

[1] - المصدر السابق، ص٦٤

[2] - عالم علامة مؤرخ صحراوي

[3] - نفس المصدر، ص١٧٦

[4] - نفس المصدر، ص٦٥

[5] - للمزيد أنظر الموسوعة الشاملة www.islam port.com

Scanned by CamScanner

إذا كان الإجماع قد انعقد من المؤرخين – الإسحاقيين وغير الإسحاقيين الذين بسطوا القول على الإسحاقيين – على الأصول الإدريسية للإسحاقيين فثمة – على نقيض ذلك الإجماع – إبهام كبير حول تسميتهم هذه إلى حد أنه يعسر – على القارئ قراءة الفحص والبحث والنبش والتفتيش – الوصول إلى القول الفاصل الحسم الذي يخرج الإنسان من حيز الظن والتخمين إلى حيز العلم واليقين، شأنهم في ذلك شأن كل القبائل الهائمة التائهة الظاعنة في صحراء قاحلة تبعا لمواقع الأمطار في مختلف البلدان والأقطار، لسان حالهم:

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا[1]

الأمر الذي سامهم ولم يزل يسومهم سوء ألوان العذاب كلما كانت سنة من سنيّ يوسف شهباء جدباء، تتلف الحيوانات والممتلكات، ويجف فيها الضرع ويبس الزرع، فيتيهون في البلدان يتخبطون في ألوان المتربة والجوع، ولا يمكنهم إسماع صوتهم للعالم ما كان أدهى وأنكى، والحال هذه تعم جميع سكان الصحراء، إذ غشيت سحابة الإهمال السوداء جميع سكان الصحراء بما فيهم الطوارق، فإن ذلك الإشكال لا يقل عنه إشكال حول الطوارق، فإن المؤرخين اختلفوا في نسبتهم للطوارق اختلافا كبيرا تباينت فيه أقوالهم، إلا أننا لا نشك في بطلان دعاوى بعض الباحثين، كما هو الشأن في الإسحاقيين، والحق أنه لا يفطن الإنسان ما بطن من أخبار هاتي الصحراء وساكنيها إلا في غموض وإبهام، ولا استطاع أن يحكم فيها حكما صادقا لا مجال للشك والإبهام فيه، ولا استطاع أن يعرف إلى ذلك سببا، إلا ما كان من دأب أهلها قديما وحديثا من إهمال تدوين تاريخهم كبقية الأمم، وتخرين أحداثهم (أو أنهم كتبوه وغارت عليه أيدي الضياع، مع تقادم الزمان والأوضاع[2]).

---

[1] – علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي، شركة القدس للنشر والتوزيع، ط١، ص٢٥٢

[2] – زبدة الوفاق، مرجع سابق، ص١

Scanned by CamScanner

يقول ابن حوقل عن البربر ساكني الصحراء: (ولو أني لم أصل إلى علم كثير من قبائلهم ... لقلت حقا إن العلماء بأنسابهم وأخبارهم هلكوا[1]) ويقول صاحب سلوة النفوس واصفا هذه الظاهرة: (ومعلوم أن من شأن هذه البلاد (المغرب) بعدم الاعتناء بالتعريف والتصدي لذلك بتأليف أو تصنيف[2]).

هذا ويسمي الإسحاقيون أنفسهم (إضكصهك) وتسميهم بعض السلالات (دوسهك) وتسميهم أقوام أخرى (ضوسهاك) وتسميهم أقوام ثالثة (دواسحاق) وكلها أسماء لمسمى واحد، كما تسميهم بعض الأقوام (إسحاقيين) إيماء وتلميحا بل تصريحا أنهم من اليهود جهلا وتطفلا، فلا يثبت لهم في ذلك قول ولا يشهد لهم نقل، بل الحق أن هؤلاء أوقعوا أنفسهم في ميدان ليسوا من فرسانه، فحالفهم الخطأ وحالفهم الصواب، وذلك هو العقاب الطبيعي الذي ينتظر دائما من يحكم على الشيء بلا تصور له، إذ الحكم على الشيء كما يقال فرع عن تصوره، فعلى هؤلاء المتطفلين أن يؤوبوا من المتاهة إلى البداهة، ويتوبوا من الغواية إلى الهداية النابعة عن القراءة الموضوعية التي تجعل العلم فوق الرغبة الذاتية الخاصة، والشهوة الخالصة، وإلا فليشدقوا كما يحلو لهم فما هم ببالغين ما يريدون ولا بضاريهم بما يقولون، ساء ما يتوهمون، ولا يكاد الرأي يستقر في هذه التسمية حتى يعارضه رأي آخر، ولما كان شأن هذه التسمية هذا الشأن كان لا بد للباحث أن يصطفي ما هو أقوى دليلا وأقوم قيلا، وهو ما رجحه العلامة الكبير إدريس القاسم وهو: (أن أصل اللفظ المنسوب إليه (إضكصهك) وليس فيه ما يدل على إسحاق نطقا، ولم يشتمل على حرف من حروفه إلا الهمزة، فتصرف فيه أهل اللهجات على ما يلائم لهجاتهم، فقال الطوارق: (دوسهاك) وقال العرب: (دواسحاق) ثم تصرف الكتاب بنسبة (إضكصهك) إلى هذا اللفظ المعرب، والمصطبغ بصبغة التعريب، فقالوا: (إسحاقي) بحذف الضاد والواو، وإنشاء الهمزة قبل الصاد، فكتبوا (إسحاقي) نسبة إلى (دواسحاق) فنشأ من هذه النسبة لفظ (إسحاق) صدفة الذي ينسب إليه الإسحاقيون، ولا يدرى زمن نشأة ذلك، وعلى هذا فإسحاق هذا ليس جدا لإضكصهك، إنما هو نسبة إلى أصل اسمهم (إضكصهك) ولو كان جدا لهم لعرفه أهل العلم منهم ومن غيرهم، وليس واردا في

[1] - صورة الأرض، لابن حوقل، نقلا بواسطة الرحال الزرق، ص١٠٧

[2] - نقلا بواسطة المدارس الأدبية في صحراء الطوارق، للأستاذ: محمد أحمد الإدريسي، ط١، ص١٠٧

Scanned by CamScanner

سلسلة المنتمين إلى إبراهيم الضغوغي، ولا سلسلة المنتمين إلى أيتَّ، وقد بحث الشيخ العتيق عنه ولقي أهل العلم من إضكصهك ولم يحصل على حد اسمه إسحاق[1]).

تعليق:

وباختلاف النطق الملفوظ وتعليله الملحوظ عرف أن المسألة ليست مسألة الانتساب إلى أحد الأجداد الأولين، بل هي مسألة اختلاف النطق وتعدد لهجات الآخرين، وهم ممن تسموا بلغتهم، ولغتهم هي إحدى لهجات البربر العريقة، وقد كتب عنهم الرومان قبل البعثة النبوية بقرون وقرون، ولا تقل لي إن علماءهم ينتسبون بهذه النسبة إثر التصنيف فإنها لما كانت عليهم علما بغلبة الاستعمال كان من الطبيعي أن ينتسبوا إليها للتعريف عقب التأليف، وإذا علمت هذا فاعلم أن الباحث قرأ هذا لكتبتهم من غير ما مرة، وحدثه به غير واحد من عامتهم وخاصتهم، فلم يختلف في ذلك اثنان منهم، بل كأن كلام كل واحد منهم من إملاء الآخر، وعليه فإنه في الموضوع كاف، وبالمقصود واف.

المبحث الثاني: موطنهم الأصلي وموقعهم الحالي:

أ- موطن الإسحاقيين في الأصل:

تذكر المصادر الإسحاقية والمخطوطات التاريخية أن الإسحاقيين كانوا في غابر الزمان وسالف العصر والأوان من سكان المنطقة التاريخية المغربية (تافيلالت) يقول صاحب زبدة الوفاق في تعريف إدوا اسحاق: (وكثيرا ما تناقلت الرواة سلفا عن سلف، وسارت الركبان من كنف إلى كنف أن أصلهم (تافيلالت) وغيرها من بلاد المغرب) إلى أن قال: (حدثني الفاروق بن هامة أن الإسحاقيين سكنوا قديما

[1] - رسالة للشيخ إدريس القاسم الإسحاقي في الانتساب إلى إسحاق، محفوظة بمكتبته في تلاتست، وقد نشرت في صفحة أحد طلابه موجم إضكصهك، بالفيس بوك

Scanned by CamScanner

بالمغرب، فخرج عنهم أصل الدين بأرض (غوغو) الآن في القرن العاشر الهجري، وكانت لهم زاوية تخصهم في المغرب، تحترم لهم مكانتهم في الإسلام، وتحمد سجاياهم في الانتظام)[1].

ب- موقعهم الحالي:

لا يقدر أحد تحديد أماكن ومساكن تواجد الإسحاقيين، لتفرقهم في الأوطان، على مر الأعصار والأزمان، ويسكن غالبهم أعمال (غاوو) و(منكا) من شمال مالي كما توجد منهم بيوتات في الجزائر والنيجر وليبيا، والمغرب، على ما يقول صاحب الجوهر الثمين، وموريتانيا والصومال، على ما يقول صاحب كتابي (الطوارق عرب الصحراء) و(أزواد صحراء تينيري) يقول في الأول: (قبيلة إدو اسحاق جزء من قبيلة إدو اسحاق بموريتانيا، وهي عربية[2]) ويقول في الثاني: (قبيلة إدو اسحاق لهم فرع كبير في موريتانيا، ومنهم بنو إسحاق في الصومال، والأساحقة في ليبيا، وهي قبيلة عربية، من عرب الطوارق، تشتغل بالعلم والتعليم، ومنهم علماء مشهورون في المنطقة[3])

تعليق:

مما أسلفنا من النقول يفهم أن موطن الإسحاقيين في الأزمان الماضية (تافيلالت) ومواقعهم الآن متباينة في البلاد، من أعمال غاو ومنكا والجزائر وموريتانيا والنيجر وليبيا والصومال والمغرب، أما أعمال غاو ومنكا والجزائر والنيجر وليبيا فليس في استوطانهم إياها عند الباحث من شك، أما ما عداها فلديه منها شيء من التحفظ والاحتياط، هذا ما انتهى إليه هذا المبحث، وبانتهائه قد انتهى الغرض منه.

---

[1] - زبدة الوفاق، مصدر سابق، ص١-٦

[2] - الطوارق عرب الصحراء الكبرى، الدكتور: محمد سعيد القشاط، ط٢، مركز الدراسات وأبحاث شؤون الصحراء، ص٤٠

[3] - أزواد صحراء تينيري، الدكتور محمد سعيد القشاط، ط١، مؤسسة ذي قار، ص٤٦

Scanned by CamScanner

المبحث الثالث: الحال الجامعة للإسحاقيين:

وينحصر القول في هذا المبحث على أربع وقفات: صفاتهم، ولغتهم، وعاداتهم، وإشادة غيرهم من حيراتهم بفضلهم:

أ- صفاتهم ولغتهم:

هذا الصنف من الملثمين بيض الألوان متوسطو القامة، يشابهون الطوارق في الزي واللثام، فعرف الجميع في العالم الخارجي بالطوارق من باب إطلاق الكل على الجزء، لهم لسان خاص لا يشاركهم فيه من الطوارق إلا قبيلة (إجدالن) بقايا (جدالة[1]) المشهورة، فكانوا يخاطبون كل من سواهم من الأمم بالطارقية الصريحة، ويتحاورون فيما بينهم بلسانهم الخاص، ولا تكاد تميز بينهم، بين سائر الطوارق المجاورين لهم في الوطن الذي يعمرونه لا بهذا اللسان، الزي واحد، والأوطان واحدة، والعوائد متحدة، ولسانهم هو أحد ألسنة البربر الضاربة في القدم، وقد كتب عنهم الرومان قبل البعثة النبوية بقرون (ويتكلم به كثير من برابرة المغرب في الوقت الحاضر، ويسمونه بأرض المغرب باسم تشلحت[2]) وفي شمال مالي يسمى ذلك اللسان (تضكصهك) وهو فصيح، يشتمل على جميع الأحرف العربية ما عدا حرفي (ذ) و(ث) فإنهما لا تطاوعان للغير المتعلمين من الإسحاقيين، ولسانهم كغيره من الألسن البربرية مركب من شتى اللغات عربية وطارقية وسودانية، وأكثر كلماته أمازيغية، وامتزجت في غرب إفريقيا بكلمات سودانية بطول عهد المجاورة والمتجارة، كما علل ذلك المؤرخ النيجري جيبو همان في كتابه (Histoir de l ayar) (تاريخ آير[3])

---

[1] - جدالة، ويقال لهم: كدالة، والجيم مصرية النطق، إحدى قبائل صنهاجة، وإخوتهم لمتونة، وهو صحراويون، وبلادهم ما يلي السودان، وفيهم حرج عبد الله بن ياسين المرابط المجاهد، والعالم أحمد بابا التنبكتي، ينظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة Ar.m.wikibedia

[2] - الجوهر النفيس، مصدر سابق، ص٦٤

[3] - مقابلة مع الأستاذ محمد محمد بنيامي، ١٤٣٥هـ

Scanned by CamScanner

وهم محاربون أشداء أجواد أسخياء، لهم من النجدة والعزة والسطوة والمنعة ما يعجز عنه البيان، ويحجم عنه التبيان، فما ثار على حريمهم أحد إلا صالوا وجالوا بالنصل والسنان، ويصلون بالحرب العوان، إلا أنهم مسالمون لا يعتدون، ولكنهم لا يُظلمون، وعند الظلم لا يسامحون، وما اعتدوا وهاجموا على قوم قط، ولا هزموا بعد أن هوجموا قط، ولا حاربوا إلا ذودا عن العرض والمال والأهل والولد قط آخر؛ لأنهم أباة الضيم والحط[1]، يقول شاعرهم:

إذا مـــا منـــادي الحـــي نـــادى لخطـــة ... أجبنـــا ولم نبخـــل عليـــه المناديـــا

وتلـــك خصـــال أورثتهـــا جـــدودنا ... ونورثهـــا فيَ الحـــي مـــن كـــان واعيـــا

يقول العتيق: (أما حالهم في أيام بني كردنّ[2] فحاصلها أنهم لم يوافقوهم، ولم ينافقوهم، ولم يعاملوهم بالمداراة التي عاملهم بها غيرهم، بل أظهروا لهم كثيرا مما يكتمه لهم غيرهم، من إنكار بدعهم وغصوباتهم، فحطوا مرتبتهم، ولم يعترفوا لهم بأي فضل، لا من جهة تعظيم أهل العلم منهم، ولا من جهة تقريب أهل النجدة منهم) إلى أن قال: (ووقعت بينهم وبين من يثور على حريمهم أيام كان الظفر فيها لهم، وتكرر ذلك حتى أيقن من ظلمهم أنهم لا يظلمون ولا يسامحون ظالما[3]).

والكم الهائل منهم يقتات من الإبل والأنعام، والبقر والأغنام، هذا لم يمنع كون هنالك من يقتات في غير ما ذكر، كالتجارة والحرفة، وهذا الصنف عزيز وجوده فيهم، وفيهم بعض الخزازة والدباغة، كصناعة الطرف والسرر، ولكنهم لم يتخذوها تكسبا، ويستغنون باللحم واللبن عن جميع الأطعمة والأشربة أحيانا في زمن الجزء في الشتاء، يقول العتيق: (واشتهروا بملك الإبل الكثيرة، وجودة إبلهم ونجابتها، وكانوا يستغنون بالحلال عن الحرام، ويواسون بأموالهم العلماء والفقراء وذوي القربى[4]).

---

[1] - مقابلة مع أحد كبار السن فيهم سعد الدين بن سيدي محمد، ١٤٣٥هـ

[2] - إمارة إولمدن.

[3] - الجوهر الثمين، مصدر سابق، ص٦٥

[4] - نفس المصدر، ص٢٥

Scanned by CamScanner

وكان من اهتمامهم بحفظ القرآن ما يبهر العاقل ويروعه، ويفضي به إلى الدهشة والعجب، فإنهم حافظوا رغم العقبات، ومتاعب التنقل إلى محل الانتجاع على أساس تعليمهم الأصيل، وتراثهم الأثيل، وذلك من خلال مدارس تعليمية متنقلة على ظهور النياق والجمال، يطلقون عليها اسم (إسكتاب) وإسكتاب في عرف الإسحاقيين هي مرتقى الوصول إلى المعالي، والتخلي عنها بالمقابل ذريعة الوصول إلى الدرك الأسفل في الحال والمآل، يقول العتيق: (ويوجد منهم حملة العلوم، وأكثرهم عوام، جل همهم تنمية الأموال مع حسن السمت والتمسك بالديانات، وأكثر ما يتعلم جمهور المتعلمين منهم في العصور الخالية حفظ القرآن ودراسة المختصرات المالكية، وفيهم الصلاح والورع والتقوى، وأحب الناس إليهم أهل العلم والتقوى، وأبغض الناس إليهم أهل الفسق واللهو، وكان لعوامهم مزية على عوام غيرهم من التمسك بالديانات، وهم أكثر الناس عناية بحفظ القرآن، ويوجد فيهم من الحفاظ ما يزيد على المائة، وفيهم مائة حافظ عام ألف وثلاثمائة وسبع وستين من الهجرة[1]) ويغارون للدين الإسلامي لدرجة أنهم قاطعوا المدارس الفرنسية لاعتقادهم بأن الفرنسيين كفار، وأن من يدرس في مدارسهم سيكون مثلهم لا محالة كافرا، فانتهى بهم الأمر أن دجوا بالأطفال في غيران جبال الصحراء بعدما بوغتوا وفوجئوا بأن الفرنسيين سيجبرونهم على إرسال أولادهم إلى مدارس الكفار، مما كان سبب غيابهم في الوظائف الإدارية في الحكومة المالية الحالية[2].

ب- عاداتهم:

ويعتاد الإسحاقيون بالعوائد ذاتها التي يعتاد بها إخوانهم الطوارق، ويختصون بخلال وخصال لا توجد عند غيرهم، ومنها: أنهم يكرمون الأصهار غاية الإكرام والتقدير والاحترام، فيا للعار أن يسجل لك التاريخ أن يقدم عليك موسم عيد الأضحى ولم تجهز لحمتك (أشبضر) وتعني الأضحية في لغتهم، وكانوا يسرفون في ذلك، وربما قدم أحدهم أضحية حماته على أضحيته إذا لم يكن على سعة من المال،

---

[1] - نفس المصدر، ص٦٧

[2] - مشافهة مع الشيخ الوالد يزيد فاضل، بتلاتيت، ١٤٣٥هـ

Scanned by CamScanner

وإن تعجب فمن العجب قولهم: إن الله يغفر لي ما لا يغفره لي قومي، ومنها: (تاغيلت) الأنثة عن (آلضاض) وهي عندهم ما يعدونه من قوادح المروءة والشهامة، فكان الموت أحب إلى الأقدمين منهم من هذه الفعلة التي من بين الأنام لا تنسى، ومنها: (أتيقال) وهي الكف عما يزري بعرضهم، ويلحقهم بما يسمونه (تصنضت وفنضي) وهي عندهم وصمة عار لا تغتفر، والحلال والحرام في ذلك على السواء، ومنها: أنهم يتوسمون سمة المسلم لصاحب الفقر المدقع ذي الأطمار الرثة والحذاء المرقع، ولعلهم بذلك يريدون الأشعث الأغبر الذي لو أقسم على الله لأبره، إن كان ذلك كذلك فشيء جميل، وإلا فخزي أكيد، ومن عوائدهم: أنهم يأنفون أن يزوجوا بناتهم لغيرهم، وربما شغفت المرأة منهم برجل أجنبي شغفا شديدا ويحيل أهلها بينه وبينها، حتى إذا انتصر عليهم الحب فيزوجوه بها عن كره ومضض.

هذا ومن قيمهم ما كان حميدا وذميما حالهم في ذلك حال أعراف كل أمة، فعلى سبيل الذكر لا الحصر: الطيرة والجهل والخرافة ضاربة أوتادها فيهم، على الرغم من المكافحة من قبل علمائهم، إلا أن هذه المكافحة صارت صرخة في واد، ونفخة في رماد، إذ كان ذلك محالا لأناس يرفضون التبعية لهؤلاء الأشياخ سياسيا، وما كان يتبعهم سياسيا إلا قليلا، فأنفق العلماء في كسب طاعتهم أقصى طاقتهم، ولكن ما وجدوا إلى ذلك سبيلا[1].

وبالنظر في قضايا الواقع وتوقعات المتوقع تجد أنهم بذلك في زمن مضى وانقضى وأيام سلفت ودول قد خلت، وأنهم في إثر طفرة من طفرات التاريخ التي لم تعد اليوم صالحة للاحتذاء والاقتفاء، وإن الباحث ليقف بهذه المناسبة ليحيي باحترام رواد الدعوة الإسحاقية بتلاتيت[2].

ت- إشادة جيران الإسحاقيين بفضل الإسحاقيين:

هذا وقد تعرض جيرانهم من السوقيين للإشادة بفضلهم، والشهادة على نبلهم شعرا ونثرا، وهذا بعض ما قالوا فيهم:

---

[1] - مقابلة مع أستاذي عبد الله البكاي، بتلاتيت، ١٤٣٥هـ

[2] - بلد في صحراء مالي، وتبعد عن غاو ٢٠٠ كلم شرقا، وسميت باسم عجوز من طوارق إماجغن كانت تسكنها.

Scanned by CamScanner

يقول الشاعر السوقي في مدحهم:

هم عصبة من بني إسحاق من حفظت ... لهم مكارم لا تنعد أحقاب
صنيعة من أناس طبعهم كرم ... من طيب أنسابهم قد طابت أحساب
تواترت عنهمُ أخبار نجدتهم ... فبائم حالم من بات يرتاب
شم أباة الأذى حامو حقيقتهم ... في كسر شوكتهم أضدادهم خابوا
نازلهم إن عجلت الموت وادرعن ... بكل ما شئت تنشب فيك أنياب
إن هوجموا دافعوا أو هيج جارهمُ ... كانوا المجن، ومهما استمطروا صابوا
تعتاد أموالهم في الضيق تفرقة ... بين العفاة، وللراحات تسكاب
ثم العلوم إذا ما كنت ذا طلب ... فهل هنالك أضراب فأضراب
فالطفل يتلو المثاني والمثاليخ في ... فتوى، ودأب شباب الحي إعراب
بالدارسين نوادي العلم حافلة ... وفي المساجد تتلى الدهر أحزاب
عممهمُ بالمديح العذب إنهمُ ... أهل لذاك فلا همُ ولا العاب[1]

ولندع هذه الآية الشعرية فقد أسرفنا في الإطالة، ولنختم هذا المبحث بهذه القصيدة التي لا تقل عن السابقة بهجة ورونقا وإطرابا وإتحافا وإغرابا وإعرابا، وهي:

سلوا بكفيّ أو فكيّ أو قدمي ... أذيع مدح بني إسحاق أو قلمي
قد خلت عودي لا يهتز في عمري ... من شدو ورق على الأوراق في أمم
وأن نومي لا يطيره طرب ... حتى أقضي نصف الليل لم أنم
وأنني بدوي ليس يقدر عن ... غوص البسيط وصوغ كل منتظم
لكن أطار الكرى مني وأنبغني ... ما حاز قوم بني إسحاق من كرم
ومن خيار سجايا لست أحصرها ... وهل يعد الحصى والنبت؟ لا، ولم
يرتلون الكتاب لا لمفخرة ... بل ابتغاء لوجه المنزل الحكم
إن زرتهم فرشوا لك الوجوه، وإن ... أحرمت في حجهم أصبحت في حرم
ليس ازدحام العفاة عنهمُ عجبا ... متى حلا منهل عليه يزدحم

[1] - القصيدة للشاعر حمزة بن عثمان التكيراني، نسخة مخطوطة بأرشيف الباحث.

Scanned by CamScanner

أســـد إذا قوتلـــوا، ســـحب إذا ســـئلوا أهـــل التقـــى والوفـــا بالعهـــد والـــذمم
أئمـــــة، علمـــــا، أهلـــــة، كرمـــــا أعـــــزة، حكمـــــاء، طيبـــــو الشـــــيم
أهـــل الإخـــا والســـخاء، لا البحـــار ولا أقـــــوام معـــــن وحـــــاتم ولا هـــــرم[1]

هذا ملخص أخبار هذا القبيل المنتمي إليه الشيخ المترجم، وطبيعة هذا البحث التجريبي لا تسمح بأكثر من هذا على الرغم من أن هذا مجرد غيض من فيض، لكن ما لا يدرك كله لا يترك جله، ولعلي أعذر فيما أقصر.

[1] - القصيدة للشيخ أنار بن زد التكيراتي، نسخة مخطوطة بأرشيف الباحث.

Scanned by CamScanner

الفصل الثاني: الشيخ المترجم في سطور: وفيه مباحث ثلاثة:

المبحث الأول: اسمه ولقبه ونسبه ووفاته وأولاده:

أ. أما **اسمه** فهو السيد العالم الفاضل، محمد فاضل بن الحسن، نجل الكرام الأفاضل، أمير الفقهاء، وفقيه الأمراء، الإسحاقي، التلاتيتي، نسبة إلى سكناه بصحراء مالي (تلاتيت).

وأما لقبه فكان يلقب بـ(فاضي[1])

ب. نسبه: محمد فاضل بن الحسن بن محمد بن القالي بن عبه بن أكمازل بن أحمد سيدي – الملقب شريحا – بن محمد – الملقب أكضيضين – ابن إدا – الملقب إنتيون – بن آوت بن شريف تندر بن الفقيه بن مرزق بن محمد المختار الشهير بآيت[2]، وقد سبقت ترجمة محمد المختار المعروف بآيت في الفصل الأول، فليراجعها من شاء، وأمه حتو بنت سلهو، من أبناء عمومته، يلتقي معها عند جدها السادس إدانتيسان بن أوت بن شريف تندر بن الفقيه بن مرزوق بن محمد المختار الشهير بآيت.

ج. **وفاته**: توفي رحمه الله يوم الإثنين من شهر صفر ١٤٢٦هـ، الموافق ٢٠٠٤م، وبوفاته طوت الأيام صفحة منيرة بالعلم والصلاح والإصلاح، والسؤدد والتقوى، وهوى طود من العلم راس، وألم بالطلاب وأهل المنطقة داهية كبرى، وفاجعة عظمى، فندبوه بمراثي كثيرة، غير هذا محل حصرها، إذ لا يسع المجال ذكرها، فهذا ما يفي بالغرض منه، وهذا طالبه إدريس القاسم يبكيه بكاء شديدا ويندبه ندبا صادقا بآهة حزينة تدل على مدى امتلاء قلبه بالحزن والمصيبة، فيقول:

بينـــا الزمـــان بســـلمه المـــأمول ... إذا بســـيف قـــاطع مســـلول
يصـــفو أو يجفـــو لا يـــدوم لحالـــة ... متلـــون في ثوبـــه كـــالغول
إن ســـر يومـــا فهـــو يعقـــب حســـرة ... كـــرا وفـــرا مثـــل ليـــث الغيـــل

---

[1] – مقابلة مع حميّر بالشيخ المترجم، بتاريخ ١٤ من محرم ١٤٣٦هـ

[2] – وثيقة مخطوطة بخزانة الشيخ الوالد يريد فاضل في تلاتيت

Scanned by CamScanner

يـــا دهـــر مالـــك لم تـــزل بجليـــل ... ترمـــي بنيـــك ولم تلـــن لخليـــل
تتفتـــت الأكبـــاد مـــن جرّائـــه ... والـــدين يبكـــي شـــجوه بعويـــل
حكـم بـه حكـم الإلـه علـى الـورى ... مـــن فاضـــل أو خامـــل مفضـــول
مـــا إن يعـــب حكمـــه في ملكـــه ... فاصـــبر جمـــيلا تحـــظ بالمـــأمول
عشـــنا فراغـــا لم يســـد لفقـــده ... رغـــم الأولى طمعـــوا بـــلا تحصـــيل
لله در الشـــيخ في التعلـــيم والتـــأ ... ديـــب، والتفريـــع، والتأصـــيل
ولـــه اليـــد الطـــولى إذا ســـئل الـــ ... ـــجواب بنسبة الموضـوع للمحمـول
ولـــه اليـــد الطـــولى إذا اختلـــف الـــ ... ـــخصوم لديـــه في المنقـــول والمعقـــول
وإذا تكلـــم في المســـائل باحثـــا ... أزرت فصـــول كلامـــه بـــاللول
وإذا تكلـــم لا يراجـــع هيبـــة ... وســـكوته ككلامـــه المعســـول
وعويصـــة تـــأبى القيـــاد فرامهـــا ... فاستســـلمت كـــاللائح المحلـــول
بحـــر أمـــد بـــأبحر مملـــوءة ... بـــالعلم والعمـــل الرضـــا المقبـــول
وتعهـــد الـــذكر الحكـــيم تفقهـــا ... وتبركـــا بـــتلاوة التنزيـــل
ولـــه أنـــاة مهـــذب ومـــؤدب ... ومفـــوق في فعلـــه والقيـــل
شمـــس أتـــيح لـــه الأفـــول فأظلمـــت ... عنـــا الـــدنا بظلامـــه المســـدول
فتبـــددت آراؤنـــا وتبلـــدت ... أفهامنـــا عـــن واضـــح معقـــول
والعلـــم أصـــبح يـــدعى، وطلابـــة ... قـــد صـــار كـــالمهجور والمخـــذول
وتـــرى المســـائل عكّفـــا بـــل نكّســـا ... إذ لا تطـــوع لقاصـــر مجهـــول
أبكيـــه حـــتى مـــا تجـــاوب مقلـــتي ... فبكيتـــه بفـــؤادي المفلـــول
يـــا ســـادتي يـــا معشـــر الفضـــلاء مـــن ... طلابـــه وذويـــه خـــير قبيـــل
هـــذا لكـــم مـــني عـــزاء شـــامل ... أرجـــو بـــه حقـــا شـــفاء غليـــل
الله يـــأجركم ويجعـــل علمـــه ... في النـــاس مثـــل جـــواهر الإكليـــل[1]

1- ديوان الشيخ إدريس، مخطوط عنده بتلاتيت.

Scanned by CamScanner

د. **أولاده:** يقول إدريس[1]: (خلف من الأولاد يزيد، وهو الأكبر من الذكور، وحيد أمه منه، وهي حميدة، ذات الخصال الحميدة، وعبد المجيد، وعبد الحليم، وطانكوض، أبناء تمينتت بنت محمد بن أحمد، وسمية، وأختها علية، وعبد الرؤوف من تالصالحت بنت آدم بن عبد الفتاح، وعبد المؤمن، وأخوه عبد اللطيف من تفطت بنت أحمد بن تالمين، وابنه عبد الرحيم رحمه الرحيم، من أمينة بنت أحمد أبو بن الصالح[2]).

المبحث الثاني: شيوخه وتلاميذه، وأدب تعليمه:

أ. شيوخه:

ولد رحمه الله في بيت علم ودين وشرف ورفعة ومكانة ومنزلة وثروة، كان أبوه الحسن فقيها، وعمه الميسور فقيه هو الآخر، وأخوه عبدُ عالم آخر، فتلقى من ذلك البلد الطيب العلم ما شاء الله له أن يتلقى، ثم أخذ عن الشيخ المنير بن آدم الإسحاقي، وأجمدُ بن مختار، وأولمين بن هلي الكلادي[3]، وهو أكثرهم تعليما له، قرأ عليه الأشعار والأصول، ومختصر خليل، وأخذ عنه كثيرا من نوازل العلماء، ولم يبلغني أنه قرأ على شيخ بعده، وإنما شرع في المطالعة دائبا في التفسير والفقه والأصول والأدب، إلى جانب انتصابه معلما للفنون التي تقرر للتدريس الفقه والأصول واللغة والمعاني والمنطق والنحو، ومفتيا نظارا في المذهب المالكي، وكان شديد التمسك بمذهب مالك، وربما خالفه إذا رأى أن الدليل خالفه، كما في القبض وتحية المسجد والإمام يخطب يوم الجمعة، وكان كثير الاطلاع، كثير المساورة لأهل العلم، باحثا لا يسأم من التفتيش، ولا يستشكل شيئا فيتكاسل عن التفتيش والتنقيب في أمهات الكتب، أو

---

[1] - إدريس بن القاسم الإسحاقي، من طلاب الشيخ المترجم، عالم علامة، مؤرخ صحراوي.

[2] - القول الحسن في ترجمة فاضل بن الحسن، إدريس القاسم، مخطوط بخزانة المؤلف بتلاتيت، ص١

[3] - إكلاد: قبيلة من قبائل الطوارق، مشتهرة بالعلم والتعليم.

Scanned by CamScanner

سؤال أهل العلم، ولا يفوته يوم ولم ينظر فيه إما في الأدب أو الفقه أو غيرها، إلا أن يكون مريضا أو على جناح السفر، ورزق من همة المطالعة ما يستغرب[1].

ب. تلاميذه:

يقول إدريس: أخذ عنه الشيخ محمد بن تالمين الإسحاقي، والشيخ سعد الدين البكاي الإسحاقي، وأبوه البكاي، والميمون بن موحما الإسحاقي، وإدر بن عمنا الإسحاقي، والبكاي الفوغاسي، والكاتب إدريس بن القاسم الإسحاقي، وولد الشيخ المترجم يزيد، وأخو الشيخ المترجم عبدُ بن الحسن، وأحمد أحمد بن عبد السلام الإسحاقي، وخلق غيرهم كثير[2].

ت. أدب تعليمه:

أما طريقة تعليمه فكان لا يرتب الدروس لا على حسب الفنون، ولا على حسب مراتب سن الطلبة، ويلاحظ أول مناول له كتاب الدرس، فيقدمه سواء كان أصغر سنا أو آخر الطلبة حضورا، بعلمهم ما يناسب مستواهم العلمي، وربما ناقش بعض الطلبة البارزين في مسألة أشكلت أو إبداء نكتة خفيت، وكان له مع نظيره البكاي بن الوافي مشاركات تعليمية وممازجات أدبية، فكانا كفرسي رهان في التعليم، يتجاذبان طرفي تلك المدرسة التي أسساها ورفعا منارها على ربوع هذه البلدة (تلاتيت) فلهما الفضل في إدخال بعض المقررات التدريسية كالاستكثار من الآلة (النحو والبلاغة وأشعار العرب) زائدا عما يقرره علماء البلد قبل، رحم الله الأصل ورعى الفصل ركنا في الإسلام، وسلما للأنام على ممر الأزمان والأيام[3].

ومن أدب تعليمه أنه لا يرى المنة لنفسه على الطالب إذا كان كتاب الدرس مما يرغب في مطالعته وتحديد العهد بقراءته، يقول إدريس: (كما شاهدته يقول لأخيه طالبه إدر بن عمنا، وقد ابتدأ عليه

---

[1] - المرجع السابق، ص٢، بتصرف يسير.

[2] - المصدر السابق، ص٣، بتصرف يسير.

[3] - نفس المصدر، بتصرف كبير، ص٦.

Scanned by CamScanner

الدرس في كتاب مراقي السعود: لا أرى لي عليك منة على درس هذا الكتاب، وهذا من تواضعه المعروف من جهة ومن شدة رغبته في مراجعة ومطالعة المراجع العلمية من جهة ثانية، وكان يتكاسل أحيانا عن تدريس ما لا يقتنص منه فائدة جديدة أو نكتة أكيدة فيحيله إلى بعض الطلبة[1].

المبحث الثالث: أعماله السياسية وصفاته الخلقية:

يقول إدريس: (تولى زعامة قبيلته سياسيا عام ...[2] بأمر من أهل الحل والعقد، من أمثال البكاي بن الوافي، وأحمدُ بن عبد السلام وإخوته، وأمت بن صالح، والمحمود بن أصغير، وغيرهم من رجالات قومه، وبلغني أنه اشترط لتنصيبه أن يجيز ذلك شيخه، فذهب به أصحابه إليه فقال: "رضيت لكم فاضلا أميرا" ففرح أصحابه ورجعوا تغمرهم الفرحة برضا الشيخ من جهة، وبنصبهم أميرا بإجماع أوساطهم من جهة ثانية، ثم قام الشيخ صاحبنا المترجم بسياسة قبيلته أحسن سياسة دون تكبر واستعلاء على أحد من رعيته، يعود مريضهم ويواسي فقيرهم ويُشاركهم في آمالهم وآلامهم، وأفراحهم وأتراحهم، ولا يتشدد على أحد منهم ولو في مقام أخذ الرسوم اللازمة كمسؤول إداري[3]، فكانوا طوع بنانه، ورهن إشارته، ولم ينكصوا طاعته مدة حياته، يقول إدريس: (ومما يدل على صبره وشجاعته قيامه على رعيته وأرضه زمن وقوع الحرب بين مالي والثوار عند خروج جيوش مالي إلى الآفاق يقتلون الرعية، وبينما هو ذات يوم إذ فاجأه جيش عظيم زرق العيون، فقام واستقبلهم بأنواع الصلات والمبرات، وجمع لهم مائة وعشرين شاة إطفاء لجمرة غيظهم، ودفعا عن الرعية، وما زال يسكنهم حتى جاء الفتح من الله، ومن سياسته أيضا أنه لما قتل أشياخنا السوقيون[4] وهرب ما بقي منهم يمشون بأرجلهم إلى (تاكدونات[5]) قام وجمع من المال ما وجد، ورحل هو ومن معه يتبعهم، حتى نزل عند بقاياهم، فوجدهم متحيرين في أمرهم لم يدروا أقدامهم

---

[1] - نفس المصدر، ص٦

[2] - بياض بالأصل.

[3] - القول الحسن، مصدر سابق، ص٤

[4] - وكانت مذبحة فظيعة ومجزرة دريعة، تركت النساء أيامى والولدان يتامى، وراح ضحيتها أكثر من ستين بريئا، وأعلنهم علماء بايدى الجيش المالي، وذلك في عام ١٩٩٤م

[5] - منطقة في الحدود البحرية المالية

Scanned by CamScanner

خير لهم أم أمامهم؟ ولم يزل يسكن أفئدتهم بالموعظة الحسنة ويسألهم الرجوع إلى أرضهم، حتى ردهم بإذن الله[1] وكان شيخنا المترجم هو أول من سن التعليم النظامي في الإسحاقيين بوضعه النواة الأولى لمدرسة (زينة الإسلام) بتلاتيت، وسعى لها السعي كله أن تكون وثيقة الصلة بالمدارس الحكومية المالية التي تتكلف الفرنسية وما هي من الفرنسية في شيء، ولكن لا حياة لمن تنادي!!!.

صفاته الخلقية والخلقية:

كان رحمه الله أبيض وضيء الوجه، رحيب الصدر، طلق اليد، زكي النفس، تقي القلب، حييا، صموتا إلا فيما يعنيه، متغافلا إلا فيما يعزمه وينويه من أعمال الخاصة والعامة، لين الجانب، موطأ الأكناف، لا يحسب أحد أن غيره أقرب إليه منه، محبا لأهل العلم، يؤثرهم وينوه بهم، ويقرب مجالسهم، وكان قليل التكلف، مائلا إلى التقشف، كثير الزيارة لإخوانه وطلبته، يأتي بيت أحدهم كزائر فتراه متواضعا، وربما قام إلى حاجته دون أن يسأله قضاءها، ومصداق ذلك ما حدثني به أخونا الثقة محمد المختار بن أحمد أبّ من تلامذته أنه زار الشيخ المحمود وهو معه فدفع لأخيه مبلغا من المال كالعادة في إعطاء الطلاب هدايا لأشياخهم، فأشار إليه أن يدفع كما دفع هو، وقال محمد المختار: إنما أدفعه لك، وقال صاحبنا المترجم: من لا يعطي لهذا الرجل لا يعطيني أنا، وكما شاهدته يقول مثل هذا لأخيه طالبه محمد بن تالمين دفع له جملا كقضاء عن جمل دفعه هو للشيخ المحمود، فقال له: إدفع له هو ليملك جملي وجملك، هذا ما يعجبني.

قال: ومن تواضعه أنه في مجلس تدريسه يداعب الطلبة ويناقشهم، ويقوم لإحضار كتاب في المكتبة للنظر فيه، ولحل ما يستشكله من دروس الطلبة، دون أن يأمر بذلك بعض الحاضرين[2].

---

[1] - القول الحسن، مصدر سابق، ص٤

[2] - نفس المصدر، بشيء من التصرف.

Scanned by CamScanner

يقول إدريس: (ومن مناقبه ما حدثني مراسلة الأخ الصالح محمد الصالح، من أصدقائه وقرابته، قال: ومن مناقبه الحلم والإحسان إلى من أساء إليه، والصبر على كل الأمور غير المنكر، فإنه متى رآه بادر إلى تغييره بما استطاع، ولا يخاف في الله لومة لائم[1]).

وكان هو ونظيره البكاي بن الوافي صديقين حميمين جمعهما الطلب والنسب والمكتسب، وكان الشيخ البكاي كان قويا بلا حيف، ولينا بلا ضعف، والشيخ المترجم صاحب رفق وأناة، لا صاحب فظاظة ولا غلظة، فداعبه الشيخ البكاي يوما قائلا: مثل هذا لا يفعل في بلدي، ويعني الغناء، وأجابه هو الآخر قائلا: هب أنك عمر وأنا أبو بكر[2].

[1] - نفس المصدر.

[2] - مشافهة مع الأم نفصت بنت حمدُ المتوفى عنها الشيخ المترجم، ذو الحجة، ١٤٣٥هـ

Scanned by CamScanner

الفصل الثالث: إضاءة سريعة على الآثار العلمية للشيخ المترجم: وفيه مبحثان:

المبحث الأول: نماذج في الفقه:

النموذج الأول: اللفظ الصريح بالردة لا يحمل على غير ظاهره:

يقول الشيخ المترجم: (بسم الله وكفى، والسلامان على المصطفى، وبعد: فإلى حضرة الأخ البكاي بن الوافي من المنتمي آخره، سلام وتحية وإكرام، قائلا له: إنا على خير وعافية، ولله الحمد، ثم إني وصلت إلي نازلتان من جهتكم واقعتان في جانب العلي الأعلى، إحداهما: امرأة أرادت أن تخاطب الدنيا بيا دنيا قومي فانظري ما يفعل فوقك، فأبدلت مكانها (يا الله) فادعت الغلط، والأخرى: امرأتان تتخاصمان في ولديهما أيهما أشرف، فقالت إحداهما: ابني ابن الله، وأرادت أن ابنها إنما يشرفه الله الذي خلقه، فغلطت.

الجواب عندي والله الموفق للصواب: أن المرأة الأولى إن لم تعتقد بأن الذات العلية هي الدنيا لم ترتد بقولها (يا الله) في مكان (يا دنيا) لما تقرر في النحو من أن النداء إنشاء لا خبر، فلا يحتمل الصدق ولا الكذب، فمعنى (يا الله) أنادي الله، ولا يعترض هذا بلعنة الله ونحوها مما هو إنشاء، وكان سببا لأن هذا نص في السب بخلاف النداء، فلا يكون سببا إلا بضميمة أمر آخر، كالاعتقاد الذي ذكرته في هذه النازلة مثلا.

وأما المرأة الثانية فالذي عندي في نازلتها أن القائلة (ابني ابن الله) ترتد؛ لأن هذا اللفظ صريح في معناه نص فيه، لا يقبل التأويل، وما ادعت أنه أرادته من أنها أرادت أن ابنها إنما يشرفه الله تأويل بعيد لا يحتمله لفظه، إهـ، فاضل بن الحسن[1])

[1] - نسخة مخطوطة بمكتبة إدريس القاسم، بتلاتيت.

Scanned by CamScanner

النموذج الثاني: رفض حكم الشرع من علامات المنافق

يقول: (بسم الله وكفى، والسلامان على المصطفى، أما بعد: فمن فاضل بن الحسن إلى محمد بن أحمد، وزوجه إن بنت صالح، يقول لهما: أريد منكما أن تسلما لموحما الحمر التي تنازعها إن وموحما، فحكمنا بينهما بأنها لإن على ظاهر الشرع، والله يعلم السرائر، ثم بلغ موحما وعمه الشيخ سيدي من إنكار ذلك وعدم تسليمه ما أخاف عليهما الردة؛ لأن إنكار حكم الشرع وعدم التسليم له من علامات المنافق، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [1] ﴾ ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ [2] ﴾ وما حملني على طلبي من إن ما طلبت إلا ما أخبرني به البكاي وحماد من خوف الفتنة بين الأقارب، وزيادة الشحناء بينهم، ودرء مفسدة الفتنة أولى من درء مفسدة عدم إيصال الحق إلى ربه، ومثل فعل موحما هذا ما فعله الفتى بن عبد الحميد، وهو عدم التسليم للشرع، فقد كتبت إليه بأن يعطي ذا حق حقه، فأبى، وصاحب الحق: الحسن، والسلام. فاضل بن الحسن، بتاريخ ١٧/محرم/١٤٠١هـ[3]).

تعليق:

هذا الموضوع هام، ولذا لا بد لي من بحث مستفيض فيه؛ لأنه موضع زلة الأقدام وشط الأقلام، أراد الشيخ أن يبين في هذه الرسالة أن إنكار الشرع وعدم التسليم له يؤدي إلى الخروج من دائرة الإسلام، واستدل بآيات صريحة كانت نصا في الموضوع، يقول الدكتور يوسف القرضاوي بعد آيات كثيرة في هذا المعنى: (ومن أعرض عن هذه النذر كلها وأصم أذنه عن هذه الآيات، ورضي أن يحكم في

---

[1] - سورة النساء، آية ٦٥

[2] - سورة النور، آية ٤٨-٤٩

[3] - نفس المصدر

Scanned by CamScanner

هذه الأمور الخطيرة، فلاسفة من الشرق أو الغرب، أو علماء أو حكماء أو مشرعين، سمهم كما تشاء، فقد ضادّ الله ورسوله، وناصب الله ورسوله العداء، ومرق من الدين كما يمرق السهم من الرمية[1].

والمدار في الكفر وعدمه في هذه النازلة على الاستحلال وعدمه، والكافر من استحل الحكم بغير ما أنزل الله، ومن حكم به عن هوى في نفسه أو ظلم أو عدوان فهو عاص أو طاغ أو فاسق أو ظالم أو فاجر أو جائر، ومن حكم به خوفا أو عجزا، فهو كالرجل المؤمن من آل فرعون، وقيل: الظلم والكفر والفسق في الآيات الثلاث أوصاف لموصوف واحد، وأن كل كافر ظالم، وكل كافر فاسق، قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ [2]﴾ وقال: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ [3]﴾ وهذا هو الفسق الأكبر، ولكن فسد الزمان، وانقلب الميزان وحسن ما كان قبيحا، وقبح ما كان حسنا، وصار المنكر معروفا، والمعروف منكرا، وسمي الجهاد تطرفا، والالتزام تخلفا، والأمر بالمعروف تعسفا، والكذب مقبة، وقطع السبيل بطولة، والردة حرية شخصية، وحضارة غربية، والزنا علاقة فردية، والخمر نشوة وفرحة، والربا فائدة، والأخيار هم الأشرار، وموضع الاستحقار، ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ [4]﴾ ولله در أمير المؤمنين وخليفة المسلمين أبي الحسن علي بن أبي طالب حيث قال: (يأتي على الناس زمان فاسد، لا يُقرب فيه إلا الماخل، ولا يظرف فيه إلا الفاجر[5]) وإذا كان علي يقول هذا وهو في القرن الأول والرعيل الأفضل فما عسى أن يقول غيره اليوم، وقد استبدلوا حكم الله بنظمهم السخيفة النابعة عن عقولهم الضعيفة، أما هل طابت نفوسهم بذلك أو قرت به عيونهم فالله أعلم بحقيقة

---

[1] - مجلة النور، العدد ٦٥٩، ١١/شوال/١٤٢٧هـ

[2] - سورة البقرة، آية ٢٥٤

[3] - سورة السجدة، آية ٢٠

[4] - سورة التوبة، آية ٦٥

[5] - الكامل، في اللغة والأدب، للمبرد، بدون ط، ص١٧٧

Scanned by CamScanner

ذلك، ولكن الذي ليس إلى إنكاره من سبيل أنهم إن فعلوا ذلك فقد رضوا بالخسف والهوان، وباعوا الأنفة والإباء بالعار والشنار،

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام[1]

ففي عالم الاقتصاد لا يلجأ الفرد إلى الاستدانة وله رصيد مذخور قبل أن يراجع رصيده، فيرى إن كان فيه غناء، ولا تلجأ الدولة إلى الاستيراد قبل أن تراجع خزائنها وتنظر في خاماتها ومقدراتها، كذلك أفلا يقوم رصيد الروح وزاد الفكر، ووراثات القلب والضمير، كما تقوم السلع والأموال في حياة الناس، بلى ولكن الناس في هذا العالم الذي يطلق عليه (العالم الإسلامي) لا تراجع رصيدها الشرعي وتراثها الفكري قبل أن تفكر في استيراد النظم والشرائع من وراء البحار، لعمري إن ذلك هو الخطب الموجع والرزء المفجع، والداهية الفظيعة، والحادثة الشنيعة، ولو كان أبو بكر الصديق حيا – الذي آل أن يقاتل من منعه عقال بعير كان يعطيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم – لقاتلهم جميعا، فإن عرى الإسلام حبل واحد لا ينفصل، وعود لا ينحطم، ولكن لا تيأسوا من روح الله، فالرأسمالية استنفدت أغراضها، وانتعد لديها ما تقدم للبشرية، والبشرية الآن في حافة الهاوية جمعاء، تائهة ظمآء حيراء، بعدما آلت الشيوعية إلى ما يشبه الإفلاس، وأنظار البشرية متجهة إلينا، والمسؤولية ملقاة على كواهلنا وعواتقنا، يقول شهيد الإسلام سيد قطب: (إن الذين يريدون لنا أن نذوب في حركة قومية أو في كتلة دولية أو في اتجاه عالمي على فرض أن هناك اتجاها عالميا إنما يرتكبون جريمتهم في حق البشرية كلها قبل أن يرتكبوها في حق الإسلام أو العالم الإسلامي، إن مهمتنا أن نتميز وأن نحمل الشعلة للضالين في شعاب الأرض وفي متاهات الصحراء، إن مهمتنا أن ننقذ البشرية من الحمأة التي تتمرغ فيها اليوم لا أن نذوب معها في تلك الحمأة، والله معنا، والبشرية كلها ستعرف يوما أن نبوءة الله حق[2]، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً

[1] – ديوان المتنبي، تحقيق: الشربيني شريدة، دار الحديث، القاهرة، ص١٦٧

[2] – نحو مجتمع إسلامي، سيد قطب ط٤، دار الشروق، ص١٣

Scanned by CamScanner

﴿وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[1] رحم الله الداعية الكبير سيد قطب فقد دفع حياته ثمنا لنشر فكره الخالد، صدق والله، فإن العالم اليوم يهيم في عصر شك وبجون، ولذة ومتاع، وذهول واختلال خلقي، مصاب بكلال ذهني، وقصور إدراكي، وفقدان لذكائه الفطري، تحت ركام من مغالطات المنطق، وسقطات الفلسفة، وتنوع الثقافات، وفوضى في الأفكار والإيديولوجيات في ظل غياب الهدفية والآمال، وفي غفلة تامة عن المصير والمآل، هذه هي حال عالم الرأسمالية والديموقراطية والشيوعية والاشتراكية عالم العولمة والعلمانية والإنترنت والقرية الكونية، والأمركة والحداثة وما بعد الحداثة، كل هذه باتت مفلسة، كسراب بلقع، وهباء منثور، في ظلام قاتم، كأنه الليلة الليلاء التي لا يهتدى فيها بمنار نور، الأمر الذي يكون تنبؤا صادقا بأن تشرق علينا شمس الغد، بعودة الخلافة الإسلامية على منهاج النبوة، كما بشر بذلك نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك بطريقة عقلية فكرية روحية حضارية راقية لائقة لبني الإنسان، وإذا كانت قيادة البشرية صائرة إلينا لا محالة فهل نحن لها مستعدون أو جاهزون، ولها متلهفون أو شائقون؟

النموذج الثالث: في الخلع:

يقول الشيخ فاضل رحمه الله: (بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على طه الكريم وبعد: فمنذ زمن قريب أنكرت تفريق محمد الحسن بن شيخنا أحمدُ بين زوجين عبد الله بن موحما وبين ابنة أحمد الهادي، بسبب نشوزها وامتناعها من الإقامة معه، من غير رضا الزوج، ولا ضرر لحقها منه، ولما بلغه إنكاري كتب إلي قائلا في آخر كتابه: من أراد الإنكار فعليه بالدليل بما نصه:

"بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على طه الكريم، أما بعد: فلقد قررت التفريق بينهما بالخلع، بسبب عجزنا عن الإصلاح بينهما، قال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا

[1] - سورة البقرة، آية ١٤٣

Scanned by CamScanner

افْتَدَتْ بِهِۦ[1] ... الآية ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ[2] ... الآية ﴾ وبحديث امرأة ثابت بن قيس، وبما نقل عن الشوكاني من معنى الحديث"

هذا حاصل ما استدل به على التفريق بين الزوجين، فكأنه جعل نفسه بمنزلة الحكمين، أو بمنزلة القاضي، ولم يعلم أن شرط الحكمين أن يبعثهما الحاكم، كما هو ظاهر الآية، أو الزوجان كما للباجي، وهو لم يبعثه أحدهما – أي الحاكم ولا الزوجان – الباجي: "ليس لأحد أن يبعث الحكمين إلا الحاكم أو الزوجان، إهـ" وإذا بعثهما الحاكم أو الزوجان لا بد أن يكون أحدهما من أهل الزوج، والآخر من أهل المرأة، كما في الآية إن وجدا، وللزوجين إقامة واحد على صفة الحكمين كما في خليل، وإذا اختلف الحكمان لا ينفذ قولهما كما في فتح الباري، قال ابن بطال: "أجمع العلماء على أن المخاطب بقوله تعالى: {وإن خفتم شقاق بينهما ...} الحكام، وأن المراد بقوله: {إن يريدا إصلاحا ...} الحكمان، وأن الحكمين يكون أحدهما من جهة الرجل والآخر من جهة المرأة، وأنهما إذا اختلفا لم ينفذ قولهما" انتهى المراد منه باختصار، وإذا علمت هذا علمت أن شروط الحكمين معدومة منك، فلا ينفذ تفريقك بين هذين الزوجين؛ لأن الشرط يلزم من عدمه العدم، وآية: {... فلا جناح عليهما ...} إنما تدل على جواز الخلع، لا على إلزامه، وحديث امرأة ثابت وإن كان فيه أمر بالطلاق فأمر إرشاد، قال في الفتح: "قوله: اقبل الحديقة وطلقها هو أمر إرشاد أو إصلاح لا إيجاب، إهـ" يعني: وبادر بالامتثال خوف أن لا يقيما حدود الله، وإذا زعمت أنك بمنزلة القاضي قلنا: القاضي لا يحكم بعلمه الذي قبل مجلس الحكم إلا في العدل والجرح، وإنما يحكم بالبينة أو بما سمعه من الخصمين في مجلس الحكم، وأنت لم تفرق بينهما ببينة ولا بإقرار في مجلس الحكم، ولا بد من أحدهما، ومن الإعذار في البينة للمحكوم عليه، وكل حكم لم يكن على هذه الصفة باطل لم يقع، ولا يكفي علمك بما كان بينهما من الشقاق قبل مجلس الحكم، إذ لعلهما نزعا عن الشقاق، ورجع أحدهما إلى رضا الآخر.

---

[1] – سورة البقرة، آية ٢٢٩

[2] – سورة النساء، آية ٣٥

Scanned by CamScanner

الذي يجب على الحاكم إذا أراد أن يحكم في هذه القضية بالتفريق أن يحضر الزوجين إلى مجلس الحكم، فيأمر الزوج بالطلاق أولا، وإن لم يفعل فهل يطلق أو يأمر به المرأة، فتطلق نفسها، ويمضي الحاكم، فيه قولان، انظر فروع المالكية فيما يكون فيه خيار المرأة بالضرر تعلم أن فعلك هذا خطأ صراح.

وأما الحكم على الغائب فلا يجوز إلا بشروط كثيرة غير هذا محل ذكرها، فانظرها في فروع المالكية كخليل، والتبصرة، والتحفة، وأيضا بنيت حكمك على مجرد الشقاق، ولم تبين ما هو؟ ولا أنهما يستويان فيه، أو انفرد به أحدهما، والحكم يختلف باختلاف أنواع الشقاق، وأنت حكمت بمطلق الشقاق، ولم تبين المظلوم من الظالم، ولا صفة الظلم الذي أنطت به الحكم، وبيانه واجب،

ومر إلى أن قال بعد نقاش طويل لحديث امرأة ثابت ين قيس، وذكر ما فيها من الخلاف، وذكر أدلة كل فريق، (اعلم أن هذه النقول التي نقلتها غير محتاجة إليها في الاستدلال على خطئك في الحكم، فقد بينت خطأه من جهتين: جهة استدلالك بالكتاب والحديث، وجهة صناعتك في الحكم في المسألة، لكن تكلفت بنقلها مع ضعفي ومرضي، وأفيدك وغيرك من أصحابنا حكم المسألة، وقد عمت بها البلوى في بلادنا، ولتعلم بأن القول في إلزام الزوج الخلع فيها قول ضعيف ورواية شاذة لا يحل للمقلد الافتاء به انتهى والله أعلم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وإن لم تسلم علي في كتابك، عام ٣٠-١٠-٢٠٠١[1]).

فاضل بن الحسن

النموذج الرابع: من خبب زوجة على زوجها:

(بسم الله وكفى، أما بعد فقد رأيت سؤالك فتأملته فإذا هو من خبب زوجة على زوجها فتزوجها المفسد بعد العدة، الجواب والله الموفق للصواب أن عدم تأبيدها عليه هو المشهور من قولي المذهب، لكن استظهر ابن عرفة فسخه قبل الدخول وبعده، معاملة له بنقيض قصده، ولا ينافي ذلك القول المشهور وهو عدم التأبيد، وأما الفسخ إن وقع فإنه بطلاق لأنه في نكاح مختلف فيه، وأما الصداق فإنه إن وقع الفسخ وطلق الزوج قبل البناء فلا شيء لها، وإن وقع ذلك بعده فلها المسمى، إن كان، وإلا

[1] - مخطوط بارشيف الباحث

Scanned by CamScanner

فصداق المثل، والنصوص على هذا موجودة، وضاق الوقت عن جلبها، قالها فاضل بن الحسن بتاريخ ١٩٩٤-٠٥-٢٧[1]).

النموذج الخامس: في الحكم على الغائب:

(... فتأملت هذا المكتوب فوجدت صاحبه أخل فيه بفصول الحكم على الغائب، إذ لم يذكر اسم الزوجة ولا اسم زوجها ولا مدة غيبته عنها، ولا أسماء الشهود الذين شهدوا بالغيبة وعدم النفقة، وهذه الفصول لا بد من ذكرها في مثل هذه النازلة، حتى يتمكن الاعزار فيها للزوج إذا حضر، ولا يتم الحكم في مثل هذه المسألة ولا غيرها إلا بالاعزار للزوج وإن سلم أو عجز عن الطعن في الشهود تم الحكم، وصح تزوج المرأة، وإن طعن فيهم رد الحكم ويبطل النكاح، والزوج لم يعلم من شهدوا عليه حتى يطعن فيهم أو يسلم، وفي المكتوب أن الزوج الثاني دخل بالمرأة، وهذا كذبه الزوج الأول أو صاحبه، وقال: لم يدخل بها إلى الآن، فهذا الحكم مردود، والنكاح المبني عليه فاسد لفقد شروطه، إهـ، فاضل بن الحسن، كتب آخر يوم من سبتمبر عام ١٤٢١هـ[2]).

النموذج السادس: صداق المرأة المطلقة قبل البناء:

(بسم الله وكفى، والسلامان على المصطفى، أما بعد فاعلم يا أخي عيسى بن آدم أن صداق المرأة اختلف العلماء فيه، هل تملك الزوجة بالعقد جميعه أو نصفه، أو لا تملك شيئا، والطلاق قبل الدخول هو الذي يشطره ويرجع نصفه إلى الزوج على كل قول من الأقوال، ويجوز للزوجة التصرف فيه قبل الدخول أو قبل الطلاق بعوض أو غيره كالهبة والخلع، لأن عوضه وهي العصمة غير مال، وإذا تصرفت فيه بهبة مضى تصرفه ما لم يزد على ثلث جميع مالها، ويرجع عليها الزوج بنصف قيمة الموهوب يوم الهبة، ويرجع عليها في البيع بنصف الثمن المبيع يوم البيع، وإذا تصرفت فيه بالخلع بأن خالعت به زوجها مضى ذلك وملك الزوج جميعه، لا يكون للمرأة فيه شيء، هذا إذا كانت رشيدة، وإن كانت سفيهة فتصرفها

[1] - نسخة مخطوطة بخزانة الوالد يزيد

[2] - المصدر نفسه.

Scanned by CamScanner

مردود والخلع مردود قد رده الشرع ومنعه، فلا يبقى للزوج منه شيء إن كان الطلاق قبل الدخول لعدم أهلية تصرف السفيهة، وقد أفاد هذا خليل بقوله: لا من صغيرة وسفيهة، قال خش[1]: يعني أن الصغيرة والسفيهة مولى عليهما أم لا، ومن فيه بعض رق، وإذا خالعت واحدة منهن زوجها الرشيد دفعته إليه فإن ذلك العوض لا يلزمها، ويقع الطلاق بائنا، ويرد العوض في الأحوال المذكورة إن كان قبضه، ويسقط عن الزوجة إن لم يقبضه، وبهذا تعلم أنه ليس كل طلاق قبل الدخول يكون للزوج فيه النصف لإطلاق خليل هذا الكلام ولم يقيده بقبل الدخول ولا بعده، والاطلاق عندهم حجة، إهـ، والله أعلم، فاضل بن الحسن[2]).

النموذج السابع: النية لا تصرف اللفظ عن ظاهره:

(أما مسألة اليمين فوجه بحثي فيه أن النية لا تصرف اللفظ عن ظاهره إن كان نصا فيه لا يقبل التأويل ولا التخصيص، كما في أسماء الأعداد، ومسألتنا من ذلك لأن قوله: ما من يومي فلي النساء لرؤوسهن إلا وتعطي زوجته دهنا، معناه يوم الخميس ويوم الإثنين فقط؛ لأنهما المقصود بيومي فلي النساء لرؤوسهن في العرف والاصطلاح، وهذا اللفظ نص في معناه لا يقبل التخصيص ولا المجاز، إنما يقبلها الظواهر كالعمومات والمطلقات ...)

ومر إلى أن قال بعد نقول كثيرة في كتب الفقه والأصول والقواعد: (ومما تقدم يعلم أن ما نقله المجيب عن ميارة وحاشيته، واستدل به على عدم الحنث في هذه المسألة محله هو إذا كان لفظ الحالف عاما أو مطلقا، ويدل على ذلك لفظ الحديث الذي استدل به، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: وأما أبو جهم فكان لا يضع عصاه على عاتقه، فإنه عام، وكذا قوله: ومن هذا أن يحلف أن هذا الطائر لا يسكت لأن الفعل إذا كان في حيز النفي من صيغ العموم، وإذا ثبت هذا فالإشكال في عدم الحنث لا

---

[1] - الخرشي

[2] - نسخة مخطوطة بخزانة الوالد يزيد بتلاتيت

Scanned by CamScanner

الحنث، والله أعلم، انتهى، كتبه فاضل بن الحسن بتاريخ يوم السبت من آخر يوم من ربيع الآخر عام ١٣٩٦هـ[1]).

النموذج الثامن: هل تجوز ترجمة خطبة الجمعة باللغة الأعجمية:

(بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على طه الكريم، وبعد فقد أرسل إلي بعض الإخوان بسؤال، وهو: هل تجوز ترجمة خطبة الجمعة باللغة الأعجمية أم لا؟ فقلت مجيبا: ... إن ماهية صلاة الجمعة ركعتان بعد خطبة، ولا تصح بدون ذلك عند الأئمة الأربعة، وجمهور العلماء، ثم اختلفوا هل يشترط ان تكون الخطبة بالعربية أم لا، اشترط الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد أن تكون بالعربية، ولم يشترط ذلك أبو حنيفة ...)

ومر إلى أن قال بعد نقول كثيرة: (... أن إبدال القرآن في الصلاة بلسان أعجمي إذا أدى المعنى ليس بمذهبنا، بل هو مذهب أبي حنيفة، وخالفه صاحباه، والإجماع يرد عليه، لأنه متعبد بلفظه، ووافق أبو حنيفة من المالكية العتيق بن سعد الدين السوقي نظرا إلى أن المقصود من الخطبة هو موعظة الناس وتعليمهم وإرشادهم، والأئمة الثلاثة نظروا إلى أن ألفاظ الخطبة متعبد بها، فلم يجوزوها بغير العربية، لكن الشافعي وأحمد قالا كما ترى فيما تقدم إذا لم يحسن الخطيب العربية أتى بالخطبة مما يحسنه من اللغة، وهذا نظر منهم – والله أعلم – إلى ارتكاب أخف الضررين لأن الإتيان بها بالأعجمية أخف من ترك شرط الصلاة، والقاعدة: إنما التكليف بالإمكان، وأما مالك فإنه نظر إلى فقد شرط وجوب صلاة الجمعة وشرط صحتها، فأسقط الصلاة إلى بدلها وهي الظهر، هذا ما رآه نظري، كتبه محمد فاضل بن الحسن الإسحاقي، آخر يوم من رجب، عام ١٤١٧هـ[2]).

---

[1] – المصدر السابق.

[2] – نسخة مخطوطة في أرشيف الباحث

Scanned by CamScanner

النموذج التاسع: في نكاح عقد بلا ولي:

(بسم الله وكفى، وبعد: فيعود عليك السلام قائلا: لتعلم أني ما عندي في نكاح عقد بلا ولي شرعي إلا الفسخ، مقلدا في الفسخ مذهب مالك إمامي، وما ذكرته من إفتاء أشياخك بإمضائه مخالف لمذهب مالك من منع النكاح بلا ولي، وفسخه إن وقع، ولا يجوز تقليد غير المجتهد المطلق، وأشياخك ليسوا مجتهدين حتى تقلدهم فيما لا تعلم دليله من قول مجتهد مطلق أو مقيد لمذهب، وقد قرر العلماء أنه لا يجوز تقليد غير المجتهد وأنه لا يجوز للقاصر عن رتبة الاجتهاد تقليد غير الأئمة الأربعة، قال في مراقي السعود:

ثم التزام مذهب قد ذكرا صحة فرضه على من قصرا

المجمع اليوم عليه الأربعة وقفو غيرها الجميع منعه

وهذا العمل الذي ذكرته عن أشياخك خالفوا فيه باي بن عمر رضي الله عنه، وإذا اختلف العلماء يقدم الأعلم والأورع على غيره، وقد أجمع معاصرو باي على إمامته وورعه، وقد نقلت في نوازله أنه لا يجوز نكاح امرأة بلا وليها أو حاكم أو ما يقوم مقامه، وهو من كان ذا علم ودين، قال: وأما العوام الذين هم كالانعام فلا عبرة بهم، انتهى بالمعنى، فما نسبه الناظم الشضنهاري إلى باي من إمضاء مثل هذا إن ثبت فهو في نازلة معينة اقتضت الحال إمضاءها، وذلك لا يقتضي أن كل امرأة بالغ تتزوج من غير شرط وليها، وكفاءة زوج، وغير ذلك من الأسباب، كما هو ظاهر كلامك، وغاية هذا النكاح انه من نكاح المرأة نفسها؛ لأن الولاية العامة لا بد أن تكون ممن يعلم شروط النكاح وموانعه، وإلا فلا عبرة بها، وإذا كان لا عبرة بها لم يبق إلا أنه نكاح المرأة نفسها، وهو باطل إلا على مذهب أبي حنيفة، وما قاله باي من أنه لا عبرة بالولاية العامة إذا كانت من عامي ظاهر؛ لأن عقد النكاح من باب الفتوى، وهي لا عبرة بها إن صدرت من عامي وإن كانت صوابا، كما للقرافي وغيره، نعم إذا تزوجت ذات ولي بالولاية العامة نظر الولي في الإجازة والرد إن قرب، وإن بعد نظر الحاكم في الرد والإجازة، وإن طال بعد الدخول كثلاث سنين أو ما تلد فيه ولدين مضى، ولعل هذا هو الذي وقع من أشياخك أن

Scanned by CamScanner

ترفع إليهم مسألة في مثل هذه فيقتضي نظرهم إمضاءها، وهذا ليس حكما شاملا لكل عقد وقع من غير ولي، بل لا بد من النظر في كل مسألة بعينها، انتهى، كتبه فاضل بن الحسن الإسحاقي[1]).

النموذج العاشر: طلاق الفضول:

(بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على طه الكريم، أما بعد: فإني أيها الكاتب المنتمي أخيرا وقفت على جواب العلامة الشيخ محمد الأمين بن الشيخ باي رضي الله عنه في مسائل سأل عنها الولد سعد الدين بن البكاي، منها: مسألة طلاق الفضول، ومسألة زكاة الصداق قبل الدخول، وما أجاب به في الأخير صحيح واضح لا كلام فيه، وأما ما أجاب به في الأول من عدم لزوم الطلاق فيه فلي فيه بحث ونظر، وذلك أن طلاق الفضول شبهوه ببيعه، ولم يستثنوا من أحكامه سوى جواز الإقدام فيه عليه فإنه مختلف فيه بخلاف طلاقه، فإنه لم يختلف في منع الإقدام عليه، وغير ذلك من أحكام قد أطلقوه، وذلك دليل على لزوم طلاق الفضول إذا طلق والزوج حاضر ساكت بما علم الفضول، ولم يجزه أو لم يطل الزمن؛ لأن سكوته دليل على رضاه بالطلاق كما هو المعلوم في بيعه)

ومر إلى أن قال بعد نقول في كتب المذهب: (وراجعت شروح المختصر فلم أجد فيها ما يخالف هذا، والله أعلم، فاضل بن الحسن[2]).

النموذج الحادي عشر: النكاح إذا أنكره أحد الطرفين لا يثبت إلا ببينة:

(بسم الله، الحمد لله، والسلام على من لا نبي بعده، وبعد: فقد سئلت عما صورته: رجل وكله أخوه على التزويج، فادعى على امرأة أنه عقد عليها له برضاها، وتولى طرفي العقد لكونه من أوليائها، وأنه صنع طعاما للوليمة، وضرب بالدف، فأنكرت المرأة، فأجبت والله الموفق للصواب: أن النكاح إذا أنكره أحد الزوجين لا يثبت إلا ببينة شهدت على معاينة العقد، وهذا لا خلاف فيه، أو شهدت على السماع الفاشي من الثقات، وغيرهم إذا حصل بهم العلم والقطع بأن فلانا تزوج فلانة، فإن النكاح يثبت

[1] - نسخة مخطوطة بحوزة الشيخ الوالد

[2] - نفس المصدر.

Scanned by CamScanner

بهذا السماع لأن مجرد السماع يثبت به النكاح من غير قطع بالشهادة، وغايته أن الشهود لم يحضروا النكاح، فإنما حصل لهم العلم بالسماع، وفي المنتقى للباجي ما نصه: "أما نقل الشهادة من غير المعينين وهي الشهادة على السماع فهي جائزة عند مالك، وهي مختصة بما تقادم زمانه تقادما يبيد فيه الشهود، وتنسى فيه الشهادات، إهـ" وذلك كما قال الباجي خمسة عشر سنة، ونحوه)

ومر إلى أن قال بعد نقول في هذا المعنى: (قال في المطي أنهم سمعوا سماعا فاشيا مستفيضا على ألسنة أهل العدل بأن فلانا المذكور نكح فلانة هذه بالصداق المسمى، وأن وليها عقد عليها نكاحها برضاها، وأنه فشا وشاع بالدف والدخان، وهذه القيود كلها مفقودة في هذا النكاح فكيف يثبت، والله أعلم، كتبه فاضل بن الحسن، بتاريخ ١٣/ شعبان/ ١٤٠٩هـ[1]).

النموذج الثاني عشر: نكاح الرجل على خطبة أخيه:

(بسم الله، الجواب أن نكاح الرجل الثاني لا يفسخ لأن المسألة فيها ثلاثة أقوال: الفسخ مطلقا بنى أو لم يبن، وعدم الفسخ مطلقا، والفسخ إن لم يبن لا إن بنى، وهذا الأخير هو الذي اختصر عليه في المختصر، لكنه مقيد بالاستحباب، الدسوقي: ونص ابن عرفة أبو عمر في فسخه ثالث الروايات قبل البناء، لكنه قيده بالاستحباب، والمصنف[2] تبع تشهيره كما في التوضيح، لكنه حذف منه الاستحاب هنا، وفي التوضيح: ونص أبي عمر في الكافي المشهور عن مالك وعليه أكثر أصحابه أنه يفسخ نكاحه قبل الدخول استحباب لأنه تعدى ما ندب إليه، وبئس ما صنع، فإن دخل بها مضى ولم يفسخ، إهـ، نقله المسناوي في المواقي، ابن رشد: قال ابن القاسم: لا يفسخ ويؤدب فاعله، إهـ، إلى أن قال: قال أبو عمر في تمهيده: تحصيل مذهب مالك في نكاح من خطب على خطبة أخيه في الحال الذي لا يجوز أن يخطب فيها أنه إن لم يكن دخل بها فرق بينهما، وإن كان دخل بها مضى النكاح، وبئس ما صنع، قلت: هذا التفريق الذي نقله الدسوقي عن ابن عمر في الكافي أنه قيد تشهيره بالاستحباب وتبعه خليل، لكن حذف منه الاستحباب، والمطلق يحمل على المقيد دفعا للتعارض، والمستحب لا يلزم فاعله،

[1] - المصدر السابق.

[2] - لعله يقصد خليل بن إسحاق

Scanned by CamScanner

ولا يقضي به، الباجي: وروى ابن حبيب عن ابن الماجشون لا يفسخ قبل البناء ولا بعده، وبه قال أبو حنيفة والشافعي، وروى ابن حبيب عن ابن نافع: يفسخ قبل البناء وبعده، وروى ابن مزين عن ابن نافع: يفسخ قبل البناء ولا يفسخ بعده، وقال القاضي أبو محمد أن الظاهر من المذهب الفسخ، ودليلنا عليه نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، والنهي يقتضي فساد المنهي عنه، ووجه القول الأول أن النهي إنما يتعلق بالخطبة دون النكاح، فلم يقتض فساد عقد النكاح، فرع: فإذا قلنا لا يفسخ فقد روى العتبي عن عيسى بن وهب أنه يستحب لهذا العاقد أن يتوب من فعله ويعرضها على الخاطب أولا، وإلا، فإن حلله رجوت له في ذلك مخرجا، فإن أبى فليفارقها، فإن نكحها الأول، وإلا فلهذا أن يأتنف معها نكاحا، قال عيسى: وقال ابن القاسم: إن لم يحلله فليستغفر الله ولا شيء عليه، ووجه قول ابن وهب أن العقد وقع على وجه الكراهية لحق آدمي يستحب أن يخرج له عنه إن لم يحلله، فإن أسقط حقه عرى عن الكراهية، وإن أبى فلا يمكنه الخروج منه إلا بالفراق، فإن نكحها الأول وإلا فهذا الثاني أحد الخطاب، ووجه قول ابن القاسم أن فراقها إياها لا معنى له؛ لأنه حق لم يثبت بعد، وكان للمرأة أن تمتنع من نكاح الأول حين خطبها الثاني، ولكن يستغفر الله لمخالفته نهي النبي صلى الله عليه وسلم، هذا كله إذا لم يرجع أحد المتراكنين عن الخطبة، فإن رجعا أو أحدهما فلا إثم على الخاطب الثاني، وإن قالت المرأة أو وليها رجعت عن الخطبة صدق؛ لأنه أمر لا يعلم إلا منه، وأما قول الرجل الأول أنه باق على خطبته فإنه لا ينافيه سفره إلى ليبيا[1] ولم يوكل على العقد، ولم يشهد على بقائه عليها، إذ في الحديث حتى ينكح أو يترك، يعني الخاطب الأول، فإذا ذهب إلى ليبيا ولم يشهد فقد ترك، وانتظار المخطوبة له ولم تعلم وقت رجوعه فيه ضرر لها، هذا ما عندي في هذه المسألة، والله أعلم بما هو الصواب منها، فاضل بن الحسن، عصر يوم الخميس، الموافق ١٩ من يوليو عام ٢٠٠١م[2]).

---

[1] - هذه مناسبة السائلة.

[2] - نسخة مخطوطة بمكتبة الدكتور عبد المهيمن محمد الأمين سيامي.

Scanned by CamScanner

النموذج الثالث عشر: في قسمة العبيد.

(إنه من البكاي بن الواقي إلى فاضل بن الحسن يسأله بعدما يسلم عليه غايته هل يجوز الإقدام على قسمة عبيد هذا الزمان أم لا؟ العبيد كانوا شركاء بين الأيتام وغيرهم، أفد الجواب سريعا، فقد أزعجني بعض الشركاء على القسمة، وأتوقف في القسمة لما علمت، البكاي.

الجواب: يعود عليك السلام قائلا: إن تسليم المبيع الذي هو شرط من شروط البيع مفقود في العبيد اليوم، لكن الضرورة تبيح أعظم من هذا حرمة، وإن كان ولا بد من القسمة فليقتسموا بالتراضي لا بالقرعة التي هي تمييز حق، فإن قيل: من شروط البيع الانتفاع بالمبيع، قلت: ينتفع الشركاء في هذه القسمة بالهبة والصدقة والإعتاق، وكنت سألت شخنا المحمود بن حماد السوقي عن هذه المسألة فأجاب: إن كان العبيد معلومي المكان جازت القسمة، ويقتسم على الأيتام وليهم بالتراضي إذا لم تكن فيه محاباة، انتهى، والسلام، فاضل بن الحسن[1])

تعليق:

هذه المسألة من المسائل الميتة التي لا ينبني عليها اليوم عمل، ولذا فالخوض فيها يكاد أن يكون تكلفا، لولا الاستمتاع بأحداث ما غبر من الزمان، اللهم إلا أن يعود الجهاد، ويعود الاسترقاق بالطرق الشرعية.

المبحث الثاني: نماذج مختلفة:

النموذج الأول: في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

رسالة الشيخ فاضل بن الحسن إلى الشيخ إنتاله بن الطاهر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسببها أن رعاء إبل من الإسحاقيين منعهم بعض إخوانهم من الفغاسيين أن يرعوا إبلهم في بعض المروج،

[1] - نسخة مخطوطة عند الشيخ إدريس القاسم.

Scanned by CamScanner

مما أدى إلى اشتباك بينهم مسلح بسلاح أبيض، وجرح إسحاقيان وفغاسي جروحا خطيرة، مما أدى إلى شلل يد الفغاسي تماما، وذلك من عام ١٩٨٤م، وفي عام ١٩٨٥م أجدبت الأرض من جميع شمالي مالي، فحاول الفغاسيون أن يمنعوا بعض المروج، فأرسل الشيخ فاضل بن الحسن هذه الرسالة إلى الشيخ إنتالا بن الطاهر، فساد الهدوء بعد ذلك، وذهبت القضية المسلحة أدراج الرياح سلميا، فجزى الله الشيخين، ورحم فاضل بن الحسن، وبارك فيما بقي من عمر إنتالا[1] ركنا في الإسلام وسلما للأنام، آمين، إدريس بن القاسم، ١٦/٠٦/٢٠١٠م.

(الحمد لله الذي من علينا بنعمة الإسلام، ونهى عن التنازع، المفضي للفشل وذهاب دولة الأنام، وأمر إخوة الإسلام بإصلاح ذات البين في كل أوان، وجعل أمة محمد أمة أخرجت للناس في كل زمان لأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، صغيرا أو أكبر، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[2] والصلاة والسلام على من أمر بالتواصل والتوادد، ونهى عن التقاطع والتدابر والتحاسد، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد: فمن فاضل بن الحسن الإسحاقي إلى السيد إنتالا بن الطاهر، سلام عليك وعلى من معك من الإخوان، ثم اعلم أن هذا المقام الذي أقامك الله فيه من ...[3] وأعظمها أجرا، وهو مقام ولاية أمور المسلمين؛ لأن صاحبه إن سمع وأطاع ...[4] بما وجب عليه من نصح الأمة استحق من الأجر عند الله ما لا مزيد عليه، كما أنه إن جار وغش الأمة استحق من العقاب عند الله ما لا مزيد عليه، وفي الحديث (من ولي من أمر أمتي شيئا ثم لم ينصحهم لم يرح رائحة الجنة، ودل هذا الحديث بمفهومه على أن من ولي من أمورهم شيئا ثم نصحهم لم يرح رائحة النار، وقد بلغني أن إخوانكم الذين أجاءهم الجدب إليكم منعهم إخوانهم من الرعي فيما كان من الكلأ ومن فضلهم من ماء آبارهم،

---

[1] - توفي هذا العام، رحمه الله

[2] - سورة آل عمران، آية ١١٠

[3] - بياض بالأصل

[4] - بياض بالأصل

Scanned by CamScanner

وقد أوردت أحاديث كثيرة في النهي مع الوعيد الشديد عن منع الكلأ وفضل الماء، منها حديث الصحيحين (لا يمنع فضل الماء ليمنع به الكلأ) ومنها حديث (ثلاثة لا يمنعن الماء والكلأ والنار) ومنها حديث (من منع فضل مائه أو فضل كلأه منعه الله عز وجل فضله يوم القيامة) ومنها حديث (لا تمنعوا عباد الله فضل الماء ولا كلأ ولا نارا) وروي مرفوعا أن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بغضبه، وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا نسمع أن الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة، فيقول: مالك إلي وما بيني وبينك معرفة، فيقول: كنت تراني على الخطأ ولا تنهاني) وروى الصعاني قال: أوحى الله إلى يوشع بن نون أني مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم، قال: يا رب هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار، قال: إنهم لم يغضبوا لغضبي، وكانوا يواكلونهم ويشاربونهم.

إلى أن قال: (اعلم أني ما كتبت إليك على أني فعلت ما أمرتك به إذ ليس من شرط الأمر بالمعروف أن يكون الآمر متمثلا ...[1] ولا ظنا أني أخللت بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي قصرت فرضيته عليك، ولا نتعدى إلى غيرك في تلك الجهة، بل لأنصحك وأنبهك على أن فرضيته مقصورة عليك، وأن تغتنم الأجر الجزيل المترتب على تغيير المنكر، وتحذر العقاب والعذاب المترتبين على عدم تغييره لمن قدر عليه، على حساب ما في الآية والأحاديث، وأما النازلة الواقعة في العام الماضي فينبغي أن تحسم مادتها إما بالإصلاح، وإما بالحكم، وإما إثارة نار الفتنة وإيقادها والتعصب الذي هو عادة قبائل هذه البلاد، فحرام بإجماع المسلمين[2])

النموذج الثاني في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أيضا:

(بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على طه الكريم، أما بعد: فمن فاضل بن الحسن إلى حامد بن المنير يقول له بعد السلام عليه إني قد بلغني عنك ما لا يجوز السكوت عنه، وهو أني بلغني أنك اشتريت آلة اللهو، وتجتمع إليك النساء والصبيان وأراذل الناس يستمعونها عندك، وذلك من أعظم المناكر، فيجب تغييره وإنكاره، وإن لم ينكر عم العذاب صاحبه وغيره، ثم يحشر الناس على نياتهم كما في

[1] - محو بالأصل

[2] - نسخة مخطوطة بخزانة الشيخ إدريس

Scanned by CamScanner

الحديث، فقد احتوى هذا المنكر على مفاسد قبيحة، منها الغناء في الآلة، وهو محرم على الأصح، وإن كان فيه القول بالكراهة ففي غير هذه الصورة المشتملة على مفاسد، فجمع على تحريمها مما سيأتي ذكرها إن شاء الله، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ [1] ﴾ الخازن: وعن ابن مسعود وابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا: لهو الحديث هو الغناء، ومعنى (يشتري) يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن، وقال أبو الحباء: سألت ابن مسعود عن هذه الآية فقال: هو الغناء والله الذي لا إله إلا هو، يرددها ثلاث مرات، إهـ المراد منه، وفي الجامع الصغير: الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع، الصاوي في شرحه: فيا لها من صفة في غاية الخسران حيث باع سماع الخطاب من الرحمن لسماع المعازف والألحان والجلوس على منابر الدر والياقوت بالجلوس في مجالس الفسق، إهـ، البغوي: الغناء رقية الزنا، إهـ، وفي رسالة أبي زيد القيرواني: لا يحل لك سماع الملاهي والغناء، إهـ، ومنها: اختلاط الأجنبيات مع الأجنبيين، وهذا معلوم تحريمه ضرورة، ولا يحتاج إلى استدلال عليه، ومنها: صرف المال فيما لا نفع فيه دنيا وأخرى، وهو عين التبذير المنهي عنه في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ﴾ وتبذير المال لم ينقطع باشتراء هذا الملهي وحده، بل هو دائم مستمر بابتياع أحجار النار له فيتزايد الإثم، والعياذ بالله، ومنها أن يعتقد الجهال أن هذا الفعل مباح أو مندوب، وهذا أكبر وأشنع لأن مقامك وهو مقام علم يقتضي أن لا تواظب إلا على مندوب أو مباح؛ لأنك ممن يقتدى بهم، وقد ثبت أن من فعل فعلا يقتدى به فيه إن كان فعله خيرا كان له مثل أجر من عمل به، وإن كان شرا فالعكس، وقد تبعك الجهال في هذا الأمر وتسارعوا في اشتراء الملاهي، ولهذا قالوا: زلة العالم مضروب بها الطبل؛ لأنه يقتدى بأفعاله كما يقتدى بأقواله، والواجب على من ارتكب مثل هذه الكبيرة أن يتوب إلى الله وإن بقي فساده في الأرض، قال في مراقي السعود:

من تاب بعد ما تعاطى السببا فقد أتى بما عليه وجبا

[1] - سورة لقمان، آية ٦

Scanned by CamScanner

وإن بقى فساده كمن رجع عن بث بدعة عليه يتبع

وغير الأنبياء من الناس غير محفوظ من وقوع الخطأ منه، والمحفوظ من إذا أذنب تاب، فبالتوبة النصوح وعدم الإصرار على الذنب يغفر الله الذنب، قال تعالى: {إن الله يغفر الذنوب جميعا} والإصرار على الذنب كبيرة، بل قيل بكفر من أصر على الذنب واستهان به، قال الناظم:

والسعدي قال فيما استهانا بالذنب أن كفره قد بانا

كفعله له ولا يبالي به كأنه من الحلال

وفقني الله وإياك إلى التوبة النصوح، وأرانا عيوبنا وشغلنا بها عن عيوب الآخرين، إهـ، سنة ١٣٩١هـ[1])

النموذج الثالث: إطلاق الكل على الجزء:

(بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فقد كنت أجبت عن إشكال أورده الطلبة على تمثيل السيوطي للمفرد بـ(ادرج ادرج) من قول ابن مالك:

وما من التوكيد لفظي يجي مكررا كقولك ادرج ادرج

أنه بحسب الظاهر جملة لا مفردا بما حاصله: أنه يمكن أن يكون مفردا مجازا مرسلا علاقته الجزئية من إطلاق الكل على الجزء، كما أشار إليه ابن مالك بقوله:

وكلمة بها كلام قد يؤم

وكما يقال في لا إله إلا الله (كلمة الاخلاص) وكلا إنها كلمة هو قائلها، وكما يقال للقصيدة كلمة أو قافية، وخالفني جل من أجاب عن هذا الإشكال، وقالوا إن (ادرج) مفردا باعتبار أحد جزأيه،

[1] - نفس المصدر.

Scanned by CamScanner

وممن خالفني ابن خالتي أحمد أحمد بن عبد السلام، ورد علي فيما ألفته في ذلك، ومما رد به علي هذه الأبيات:

حقيقة أراد شيخنا الأجل ... لا جملة ولا مجازا مبتذل
دليل ذا في الهمع عند (احبس) ... إثر (أتاك اللاحقون احبس)
دليله أيضا بآجروم ... قدوتنا في سائر العلوم
إذ قال: (كل كلمة بالذات ... دلت على الطلب لا الإثبات)
هذا دليل قاطع للمبتغي ... فردية المشكل كيف يبتغي
وأيضا انظره على السجاع ... والخضري انظر على اتساع
عند أولي النهى وأهل الباع ... تجده واضحا بلا نزاع
عند مقال صاحب الخلاصة ... أمام من يعزى إلى الفصاحة
(ويبدل الفعل من الفعل كمن ... يصل إلينا يستعن بنا يعن)
وبدل الكل والاشتمال ... سيان في اللفظي في ذي الحال
لكن أولى منهما اللفظي ... بذاك هذا نظر مرضي
من وجه المشكل بالمجاز ... من بعد ما قد حد بالإيجاز
لم يأت بالمقبول في البيان ... بلى هو المردود في التبيان
إن كان حقا فهو من إلهي ... والحمد لله، ولا أباهي

ورددت عليه هذا الرد:

مجاز الصواب لا حقيقة ... حيث استحالت يا أخي الحقيقة
ومنه[1] إطلاق الذي بالمفرد ... يدعونه من الكلام الأفيد
إذا حملنا قول شيخ المدرج ... تمثيله لمفرد بكـ(ادرج)
على المجاز حين إذ يمتنع ... قصد الحقيقة فهذا المفزع
عند ذوي الأصول والبيان ... طالع شروح الجمع والتبيان

[1] - الضمير في (منه) عائد على استحالة المفهوم.

Scanned by CamScanner

خـــوف[1] اشـــتراك مفـــرد وجمـــل ... في الصـدق إذ لم يـك بالمسـتعمل
فـالمعربون مـا يقولـون (احـبس) ... مـع الضـمير مفـردا فلتحـبس
بـل قـالوا إن الفعـل هـو المفـرد ... دون الضـمير فهـو لا يسـتبعد
وهكـذا قـالوا في (يسـتعن) فـلا ... فـرق، فـلا تعـد الـذي قـد نقـلا
ولـيس في هـذا نـزاع إنمـا ... كـان في الاطـلاق الـذي تقـدما
وإنمـا المطلـوب أن يسـتعملا ... مجمـوع (افعـل) مفـردا فيقـبلا
وإنمـا المـردود في التبيـان ... والنحـو والمنطـق والمعـاني
إطـلاق مفـرد علـى الكـلام ... حقيقـة، يـا قـبح ذا الكـلام
والخضـري والسـجاع نصـا ... علـى فسـاد مـا نحـوت نصـا
أمـا الـذي في الهمـع قـد رواه ... فـتى علـى البغـدادي في فتـواه
يقولـه: (زعـم ذا البغـدادي) ... والـزعم لـيس بالـدليل الهـادي
فمـن يـؤول بـه لم يصـب ... لأنـه مطيـة للكـذب
فلـيس فيمـا سـقته أدنى دليـل ... لكـون (افعـل) مفـردا يـا ذا الخليـل
حـتى يكـون قاطعـا، والنقـل لا ... يكـون قطعيـا إذا لم ينـزلا
هـذا دليـل للمجـاز فـاعرف ... فاطلـب دليـلا غـيره أو فقـف
هـاك الجـواب فاقبلنـه منصـفا ... فتسـتفيد منـه، لا تسـتنكفا

إلى أن قال: (وقد حملني على مخالفة الجمهور أمران: أحدهما أن السيوطي قلما يأتي بمثالين متماثلين إلا وبينهما مغايرة، كما يعلم ذلك بالاستقراء، وإن وجد غير ذلك فهو نادر، وقد مثل للمفرد بمثالين: أحداهما (ادرج ادرج) والآخر (حقيق قمن) وإذا لم نعتبر المغايرة بينهما كان الثاني تكرارا، وذلك غير ما يعلم من عادته بالاستقراء، والامر الثاني: أن التأسيس مقدم على التأكيد، فلا يصار إلى التأكيد متى أمكن التأسيس، وذلك أن المفرد جنس تحته نوعان: حقيقي ومجازي، وإذا حملنا كلا المثالين على الحقيقي لزم تقديم التكرار والتأكيد على التأسيس، وهو ممنوع، وإهمال هذا المجاز في اصطلاح النحاة –

[1] – قوله (خوف) لقوله (حملنا) متعلق

Scanned by CamScanner

وهو الذي حمل الجمهور على مخالفتي – لا يمنع من استعماله، وإذا لم يمنع استعماله لا يمنع إرادته في هذا الموضوع، وقد قال السيوطي في آخر هذا الشرح إنه ربما خالف الشراح في بيان أو تأويل حكم، إلخ، لا شك أنه خالف الشراح هنا إذ جعلوا (ادرج) مثالا للجملة لا للمفرد، والنكتة في مخالفته للشراح هنا ما في ذلك من تأسيس حكم، والله أعلم، فاضل بن الحسن الإسحاقي[1]).

تعليق:

ما أكثر ما يقال حول هذه الكلمة من كلام كثير، وهي مع ذلك جملة واضحة لا تعمية فيها ولا خفاء، وكان شيخنا كغيره من علماء الصحراء يقبل على تفسير هذه الكلمة وتقرير ما يقال حولها من كلام كثير لطلابه مجهودا مكدودا، وأمانة العلم كما تعلم ثقيلة لا ينهض به إلا الأقوياء، وقليل ما هم، وصاحبنا منهم، ويرى الباحث أن ما قاله هو التحقيق الذي لا ينبغي التعويل على غيره، إلا أن الباحث ليس ممن يزاحم أولئك الفرسان في ذلك الميدان، ولكن ما انشرح به صدره من فهم هذه النكتة إن كان صحيحا فرمية من غير رام، وإن كان خطأ فما أكثر الذين يخطؤون.

النموذج الرابع: الأضداد:

يا سائلي عن كلم الأضداد ... فهاكها منظمة الأفراد
وراء للخلف وللأمام ... رواه من روه عن إمام
وعسعس الليل إذا ما أقبلا ... أو كان أدبر، فخذ ما نقلا
وجلل لهين ولعظيم ... ومثله الأمم في ذا يا نديم
ثم الصريم قد أتى لليل ... ولنهار فاصغين لقولي
وناصع لأبيض وأسود ... كالجون مثله في ذا فلتقتدي
وناهل يقال للريان ... حقا كما يقال للظمآن
وغابر الزمان ذو استقبال ... وذو مضي فافهمن مقالي
والبين للقريب والبعيد ... والقرء للطهر وذي الصديد

[1] – نفس المصدر.

Scanned by CamScanner

والصارخ الذي يغيث والذي ... قد يستغيث لأذى به أذي
وشعب الشيء إذا ما أصلحا ... وهكذا شعب إن لم يصلحا
الهاجد القائم للصلاة ... بالليل والنائم للسبات
ووهدة تقال لارتفاع ... ولانحدار فاحفظن سماعي
وعزر المرء إذا ما أكرما ... أو كان إذا إهانة فلتعلما
أهمد أي أسرع في السير كذا ... إذا أقام فخذن ما أخذا
أما الخناديد فللخصيان ... وللفحول فخذن بياني
ثم الأذي قد أتى للمؤذي ... والمتأذي منه دع ما يؤذي
وذا الأخير المجد قد أفاد ... ناظمه وغيره استفادا[1]

قالها فاضل بن الحسن عام ١٤٠١هـ.

شعر الشيخ المترجم:

أما عن شعره فقليل جدا، بالقياس إلى آثاره العلمية الأخرى، وضاع أكثره، وقد شاءت الأقدار أن لا نظفر منه بشيء يذكر، وهذا بعض تقريظه لكتاب شيخه الروحي المحمود بن حماد السوقي المسمى بـ(اللؤلؤ والمرجان) يقول في تقريظه:

لا تعجبوا من لؤلؤ متسرد ... أن قد بدا من فيض بحر مزبد

إلى أن قال:

يا من يريد سلوك سابلة الهدى ... فعليك بالمرجان طالع تهتدي
واعلم بأن به الغنى عن كل ما ... تحويه كتب القوم من متعبد

إلى أن قال:

[1] - نفس المصدر.

Scanned by CamScanner

أنا مشهد للخلق والمولى على ... أني على دين النبي محمد
وعلى طريقة شيخي المحمود غو ... ث الوقت ذي الفجر العموم الأمجد
حماد والده وكان خليفة ... عنه بلا شك ولا متردد
فتسابقا في ذلك الميدان لا ... ندري بمن هو سابق من مقتدي[1]

والقصيدة طويلة على الرغم من أن الباحث لم يظفر منها غير هذا الوشل القليل.

وقد أشاد الشيخ المترجم للسيد إياد أغ أغالي – حينما وقع على اتفاق السلم بين الثوار ومالي في التسعينيات – بقصيدة هي آية في الروعة والجمال، ولكني لم أظفر منها غير هذا البيت الذي هو مطلعها:

قد جاءنا فحمدنا الله إياد ... إذ كان منه لنا للأمن إيعاد

[1] – مشافهة مع الشيخ الوالد يزيد فاضل.

Scanned by CamScanner

الخاتمة:

جميل جدا الحديث عن هؤلاء العلماء العظماء الصالحين المصلحين المخلصين المتواضعين الذين لا تعنيهم أمجاد ولا ألقاب، ولا رياء ولا سمعة، ولا بريق ولا شهرة ولا أن تصفق لهم الجماهير، ولا أن تكون أسماؤهم على كل لسان، وصورهم في كل مكان، إنما يعنيهم هذا الدين وحده، مخلصين لله هذا الدين، لا يوافقون ولا ينافقون، ولا يدارون ولا يصانعون ولا يداهنون ولا يتملقون، ظاهرين على الحق حيث كان، دائرين معه حيث دار لا يخافون في الله لومة لائم، إن الحديث عن مثل هؤلاء حقا ليثير المودة والمحبة كما يثير الحفيظة والموحدة، وكان الشيخ المترجم فيهم مثالا صادقا ونموذجا صالحا للتأسي والائتمام، والحديث عن ذلك طويل عريض يستلزم سفرا طويلا عريضا، والخير كل الخير أن نرجع إلى ما تيسر جمعه في هذا البحث القصير، والبحث قصير جدا، وأعترف بأني لم أوف له حقه من الدراسة كما ينبغي، والحمد لله أولا وآخرا، وإليك أيها القارئ الكريم أهم النتائج التي انتهى إليها هذا البحث الموجز:

١- أن بعض الإسحاقيين ينحدرون عميقا في سلك عترة عربية إدريسية شريفة، وبعضهم الآخر من البربر الخلص، ولم يكن فرق بين أن يكونوا عربا وبربرا في الموازين الأرضية، فضلا عن الموازين السماوية التي تقول إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ولكن الإنسان لا يتنكر لأصله مهما بعد به العهد وطال به الأمد.

٢- أن الإسحاقيين ممن تسموا بلغتهم، وليسوا متسمين إلى جد لهم اسمه إسحاق، كما يتبادر إلى الذهن ويتوهمه الخيال، بل يتسمون بأصل اسمهم (إضكصهك) الذي خضع للتعريب والتحريف بفعل العرب الذين ينطقونه بما يلائم لهجاتهم.

٣- أن الإسحاقيين وإضكصهك وضوسهاك ودوسهاك كل أولئك شيء واحد تدل عليه ألفاظ مختلفة.

٤- أن موطن الإسحاقيين فيما غبر من الزمان تافيلالت، ويستوطنون في الوقت الحالي أعمال غاو ومنكا وتمنغست وليبيا والنيجر والصومال وموريتانيا والمغرب على ما يقال، أما غاو ومنكا

Scanned by CamScanner

وتمنغست وليبيا والنيجر فليس في استوطانهم إياها عند الباحث من شك، أما ما عداها فلديه شيء من التحفظ والاحتياط في هذه المؤرخة.

٥- أن الإسحاقيين صنف من الملثمين البيض الذين يشابهون الطوارق في الزي واللثام، فعرف الجميع في الكتابات الحديثة بالطوارق من باب إطلاق الكل على الجزء، لهم لسان خاص لا يشاركهم فيه من الطوارق إلا قبيلة جدالة المشهورة، ويسمونه بأرض المغرب باسم تشلحيت، وفي شمال مالي يسمى تضكصهك.

٦- أن شيخنا المترجم من صريح ولد الشريف محمد المختار الشهير بأيت الإدريسي الحسني.

٧- أن الشيخ المترجم صرح شامخة البنيان مشيدة الأركان في العلم على وجه العموم، والفقه المالكي وأصوله وعلوم اللغة والأدب على وجه الخصوص، فكم قيد من الشوارد والأوابد العويصة المستعصية والمتمردة التي عجز القاصرون على أن يعقلوها حتى وردت حياض الشيخ المترجم، فعقلها، وكانت من متناول الجميع، وهذا ما عبر عنه الشيخ إدريس القاسم في رثائه له حيث قال:

وعويصة تأبى القياد فرامها فاستسلمت كاللائح المحلول

٨- أن الشيخ المترجم من خيرة رجال العلم والسياسة، بعيد كل البعد عن الخمول أو العلمانية أو اللادينية التي هي عادة بعض رجال الفقه والدين في هذا الزمان.

٩- أن شيخنا المترجم هو أول من سن التعليم النظامي في الإسحاقيين بوضعه النواة الأولى لمدرسة زينة الإسلام بتلاتيت، وسعى لها السعي كله أن تكون وثيقة الصلة بالمدارس الحكومية المالية التي تتكلف الفرنسية وما هي من الفرنسية في شيء، ولكن لا حياة لمن تنادي.

هذا بكل تلخيص.

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

Scanned by CamScanner

المصادر والمراجع:

١- القرآن الكريم.

٢- أزواد صحراء تينيري، الدكتور محمد سعيد القشاط، ط١، مؤسسة ذي قار

٣- أصول الفقه، للإمام محمد أبي زهرة، طبعة دار الفكر العربي،

٤- الجوهر الثمين، نسخة إلكترونية.

٥- خزانة الشيخ الوالد.

٦- ديوان الشيخ إدريس، مخطوط عنده بتلاتيت

٧- ديون المتنبي، تحقيق: الشربيني شريدة، دار الحديث، القاهرة

٨- ذبدة الوفاق في تعريف دواسحاق، لمحمد سعيد بن محمد فُطَّهْ الإسحاقي الآيتي، مخطوط بمكتبة الدكتور: عبد المهيمن محمد الأمين/ محاضر بالجامعة الإسلامية بالنيجر، كلية البنات

٩- رسالة للشيخ إدريس القاسم الإسحاقي في الانتساب إلى إسحاق، مخطوطة بمكتبته في تلاتيت، وقد نشرت في صفحة أحد طلابه موحم إضكصهك، بالفيس بوك

١٠- صورة الأرض، لابن حوقل

١١- الطوارق عرب الصحراء الكبرى، الدكتور: محمد سعيد القشاط، ط٢، مركز الدراسات وأبحاث شؤون الصحراء

١٢- علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي، شركة القدس للنشر والتوزيع، ط١

١٣- القول الحسن في ترجمة فاضل بن الحسن، إدريس القاسم، مخطوط بخزانة المؤلف بتلاتيت

١٤- الكامل، في اللغة والأدب، للمبرد، بدون ط

١٥- مجلة النور، العدد ٦٥٩، ١١/شوال/١٤٢٧هـ

١٦- المدارس الأدبية في صحراء الطوارق، للأستاذ: محمد أحمد الإدريسي، ط١

١٧- مشافهة مع الشيخ الوالد يزيد فاضل، بتلاتيت، ١٤٣٥هـ

١٨- مقابلة مع أحد كبار السن فيهم سعد الدين بن سيدي محمد، ١٤٣٥هـ

Scanned by CamScanner

١٩- مقابلة مع أستاذي عبد الله البكاي، بتلاتيت، ١٤٣٥هـ

٢٠- مقابلة مع الأستاذ محمد محمد بنيامي، ١٤٣٥هـ

٢١- مقابلة مع خبير بالشيخ المترجم، بتاريخ ١٤ من محرم ١٤٣٦هـ

٢٢- مكتبة الدكتور عبد المهيمن محمد الأمين بنيامي

٢٣- مكتبة الشيخ إدريس القاسم

٢٤- الموسوعة الشاملة www.islam port.com

٢٥- نحو مجتمع إسلامي، سيد قطب ط٤، دار الشروق

٢٦- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، ابن حجر العسقلاني، مطبعة سفير بالرياض، ط١

٢٧- نسخة مخطوطة بمكتبة إدريس القاسم، بتلاتيت

٢٨- والممالك، للبكري، ط دار العربية

٢٩- وثيقة بالية بخط الشيخ الأمير سعد الدين بن البكاي بخزانة الشيخ نفسه بتلاتيت

٣٠- وثيقة سلاسل الإسحاقيين، مخطوط بخزانة الشيخ إدريس القاسم بتلاتيت

٣١- وثيقة مخطوطة بخزانة الشيخ الوالد يزيد فاضل في تلاتيت

٣٢- وثيقة مخطوطة بمكتبة أحمد آدم بن محمد الصالح بتين تزوري

٣٣- ويكيبيديا الموسوعة الحرة Ar.m.wikibedia

Scanned by CamScanner

الفهرس:

الموضوع	الصفحة
الإهداء	أ
الشكر والتقدير	ب
المقدمة	١
أهمية الموضوع	٢
الدراسات السابقة	٢
أسباب اختيار الموضوع	٣
خطة البحث	٣
منهج البحث	٤
صعوبات البحث	٤
الفصل الأول: في تعريف الجيل الإسحاقي المنتمي إليه الشيخ المترجم	٥
المبحث الأول: أصل الإسحاقيين وتسميتهم	٥
المبحث الثاني: موطنهم الأصلي وموقعهم الحالي	١١
المبحث الثالث: الحال الجامعة للإسحاقيين	١٢
صفاتهم ولغتهم	١٢
عاداتهم	١٤
إشادة جيرانهم بفضلهم	١٥
الفصل الثاني: الشيخ المترجم في سطور	١٨
المبحث الأول: اسمه ولقبه ونسبه ووفاته وأولاده	١٨
المبحث الثاني: شيوخه وتلاميذه وأدب تعليمه	٢٠
المبحث الثالث: أعماله السياسية وصفاته الخلقية والخلقية	٢٢
الفصل الثالث: إضاءة سريعة على الآثار العلمية للشيخ المترجم	٢٥
المبحث الأول: نماذج في الفقه	٢٥
النموذج الأول: اللفظ الصريح في الردة لا يحمل على غير ظاهره	٢٥

Scanned by CamScanner

النموذج الثاني: رفض الحكم بما أنزل الله من علامات المنافق ٢٥
النموذج الثالث: في الخلع ٢٩
النموذج الرابع: من خبب زوجة على زوجته ٣١
النموذج الخامس: في الحكم على الغائب ٣١
النموذج السادس: صداق المرأة المطلقة قبل الدخول ٣٢
النموذج السابع: النية لا تصرف اللفظ عن ظاهره ٣٢
النموذج الثامن: هل تجوز ترجمة خطبة الجمعة باللغة الأعجمية ٣٣
النموذج التاسع: في نكاح عقد بلا ولي شرعي ٣٤
النموذج العاشر: طلاق الفضول ٣٥
النموذج الحادي عشر: النكاح إذا أنكره أحد الطرفين لا يثبت إلا ببينة ٣٥
النموذج الثاني عشر: نكاح الرجل على خطبة أخيه ٣٦
النموذج الثالث عشر: في قسمة العبيد ٣٨
المبحث الثاني: نماذج مختلفة ٣٨
النموذج الأول: في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٣٨
النموذج الثاني: في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٤٠
النموذج الثالث: إطلاق الكل على الجزء ٤٢
النموذج الرابع: الأضداد ٤٥
شعر الشيخ المترجم ٤٦
الخاتمة ٤٧
قائمة المصادر والمراجع ٤٩
الفهرس ٥١

Scanned by CamScanner